جامعة الأزهر
كلية الدراسات الإسلامية
فرع البنات

التيار الإسلامي في مسرح علي أحمد باكثير

الدكتور
محمود رفعت الشهابى

مستلة من مجلة كلية الدراسات الإسلامية
العدد العشرون

رقم الإيداع ٦١١٥ لسنة ٢٠٠٢

إهـــــــداء ٢٠٠٧

الدكتور / محمود رفعت الشهابي

القاهرة

التيار الإسلامي
في مسرح
علي أحمد باكثير

الدكتور
محمود رفعت الشهابى

لمحة عن حياة (علي أحمد باكثير)

ولد (على أحمد باكثير) فى مدينة (سوربايا) بجزر الهند الشرقية (إندونسيا) من أبوين عربيين حضرميين وذلك عام ١٩١٠م، ولقد ألحقه أهله (بكتاب) تعلم فيه مبادئ القراءة والكتابة العربية، وأمثال هذه الكتاتيب منتشرة بذلك الوطن لوجود أعداد ضخمة من الحضارمة نزحوا واستقروا فى هذه البلدان. وكان أبوه قد تتبع خطى من سبقه من المهاجرين فسافر هو الآخر ليعمل بالتجارة هناك. ولقد عاش الحضارمة فى (إندونيسيا) محتفظين بهويتهم قدر الإمكان، لذا كانوا حريصين أن ينشأ أبناؤهم فى الوطن الأم ينهلون من خلاله لغة الآباء والأجداد، فيسهل عليهم فيما بعد قراءة القرآن، ويتثقفون بالثقافة العربية الخالصة.

ومن هنا دأب الحضارمة فى المهجر على إرسال أبنائهم الصغار إلى بلدهم الأصلى ليعيشوا بين ذويهم ثم ليتشبعوا هناك بكل ما هو عربي، وليتشربوا العادات والتقاليد التى نشأ عليها أسلافهم. وهكذا بعد ما نشأ (على أحمد باكثير) وترعرع فى (إندونيسيا) بعث به والده إلى (حضرموت) وهو ابن ثمان سنوات[1]، فبدأت فى هذه المرحلة من العمر الثقافة العربية الناصعة تغزو عقله، وتستقر فى وجدانه، ومما عضد ذلك انتظامه فى الدراسة بالمعاهد الدينية المنتشرة هناك فى ذلك الوقت «وقد كانت الدراسة فى كل هذه المكاتب والمعاهد لا تستند إلى منهج محدد، ولا إلى دراسة منظمة، وإنما تدرس العلوم العربية والدينية على غرار الأزهر القديم، ومع بدء الدراسة بدأت نشأته العربية والثقافية والدينية، وبدأت مظاهر التكوين

---

(١) د/ أحمد السومحي- علي أحمد باكثير حياته وشعره الوطني- الفصل الأول ص٢٩- منشورات نادي جده الأدبي.

الأدبي تظهر عليه مبكرة»[1].

فإذا به وهو في حداثة سنه يقرأ كتب التراث، ويحفظ كثيراً من الدواوين الشعرية مما جعله يقرض الشعر وهو في سن الثالثة عشرة[2].

في معترك الحياة:

بدأت المعاناة تنتاب (باكثير) منذ أن كان صغيراً، فقد انتقل وهو طفل من مجتمع (إندونيسيا) إلى مجتمع (حضرموت)، وهذا بلاشك لا يمر بسهولة على نفسيته، فتركه لوالديه ليس بالأمر الهين، ثم فراقه وهو في مرحلة مبكرة من العمر لأترابه ولداته يؤدي به إلى الشعور بالأحزان، إذ يظل خياله معلقاً بأصحابه الذين اعتاد أن يلهو معهم. ولا يقف الأمر عند فقدانه المجتمع الذي نشأ فيه بل هناك انتقاله من طبيعة (إندونيسيا) الجميلة الخلابة ذات المناظر الرائعة، حيث الخضرة المزدهرة، والأمطار الكثيرة والأنهار الجارية إلى بيئة (حضرموت) الصحراوية الجافة البعيدة كل البعد عن مهده الأول الذي صاحب نشأته الأولى، ومما لا شك فيه أن يكون لذلك أثر قاس على نفسيته.

استسلم باكثير للحياة الجديدة في الوطن الأم، وتزوج من فتاة حضرمية وهو في سن العشرين، وكانت هذه الزيجة تتويجاً لعاطفة الحب التي نشأت بينه وبين فتاته فعاشا عيشة سعيدة هانئة في (حضرموت) إلا أن الأقدار لم تشأ أن تطول سعادته تلك فأصيبت زوجه بمرض خطير أدى إلى وفاتها ولقد بدت لوعته من جراء هذه الصدمة في الشعر الذي رثى به زوجه فجاءت قصائده غاصة بالآلام. ثم بدا له أن ينتصر على حالة الكآبة

(١) المرجع السابق ص٣٥.

(٢) المرجع السابق ص٣٦.

تلك فتزوج مرة ثانية فإذا بهذا الزواج يصيبه الإخفاق فزلزلت هذه المقادير كيانه وأدى به ذلك إلى مزيد من الأحزان[1].

ولم يرزأ باكثير بأحزانه الشخصية فحسب بل راح كاهله ينوء بأعباء وطنه ومشكلات أمته، فالبيئة الحضرمية فى ذلك الوقت كانت تعانى كل المعاناة من التخلف والجهل وتسلط الخرافات عليها، والمجتمع آنذاك غاص بألوان التناحر والتنافر والعداوات والأحقاد. فكان يتألم لما يراه، ويشعر بالأسى لأبناء وطنه، وصار وهو شاب يدعو مجتمعه إلى لم الشمل ونبذ الخلافات ومحاربة الجهل والشعوذة والخرافة، وينادى بنشر التعليم والنهوض بالمرأة للقضاء على البؤس والتخلف.

وينتابه اليأس مما يراه ولا يقدر على تغييره فيتمنى الرحيل عن بلاده ويعبر عن ذلك شعراً:

ضاق صدرى وبلبل بالى وتولى أنسى وقل احتمالى

. . .

تارة أعزم الرحيل وطورا أنثني راضيا بالحال

ضقت ذرعا بذي البلاد ومن ضاق بأرض فليعن بالارتحال[2]

والذى يهمنا من هذا الشعر هو دلالته على حالته النفسية وإن كان دون المستوى الأدبى. وها هو ذا ينفذ رغبته ويمضى ما اعتزمه من الرحيل عن حضرموت فيسافر إلى عدن، ثم إلى إندونيسيا، ثم ينتقل إلى الصومال، غير أنه لم يهنأ فى أي مكان منها فهو أينما حل يرى العرب متناحرين

(١) المرجع السابق ص٤٠ وما بعدها.

(٢) المصدر السابق ص٥٠.

متنافرين.

وأخيراً يولى وجهه شطر الحجاز فيحس الراحة فى رحاب البيت العتيق ويعيش بالطائف فيستروح نسيم الطمأنينة والهدوء[1].

ثم تغمره السكينة فى المدينة المنورة ومنها تفيض نفسه بقصيدة مدح للرسول صلى الله عليه وسلم يسميها (نظام البردة)[2].

ثم يواصل المسيرة إلى مصر وكان من قبل يشتاق إليها وهى فى ذلك الوقت عاصمة الثقافة العربية والإسلامية، وقبل أن يصلها كان يقول فيها شعراً يدل على أن نفسه تتطلع إلى الحياة بين ربوعها لينهل من علماء الأزهر وأساتذة دار العلوم ويعجب من نفسه لتقاعسه فى الذهاب إلى مصر:

أنكو صا عن بلاد قد حوت　　　أزهرا والدار ينبوع الحكم[3]

وما إن وطئت قدماه أرض مصر عام ١٩٣٤ حتى اندمج مع المجتمع كأحد أبنائه فصار يغشى المنتديات العلمية وتنشر قصائده ومقالاته فى الصحف والمجلات. وكان الأدباء المصريون قد قرروا إقامة حفل لزكى مبارك بمناسبة صدور كتابه النثر الفنى فكان باكثير أحد المشاركين فى هذا الحفل وألقى قصيدة فى مدح المحتفى به بدأها بتحية لمصر فقال:

يا مصر شاق البلبل التغريد　　　والأيك أنت وحوضه المورود

إلى أن يقول:

---

(١) المصدر السابق ص٥٢.
(٢) المصدر السابق ص٥٤.
(٣) المرجع السابق ص٦٤.

من لى بعزم مثل عزم مبارك أقضى به ما اشتهى واريد[1]

ونراه قد انطلق فى مصر ينشر شعره فى أكبر المجلات الأدبية مثل مجلة الرسالة ومجلة أبوللو. وها هو لا تقف مشاعره وأحاسيسه عند حياته الخاصة بل تتعداها إلى هموم العالم العربى وأحداثه فنشرت له مجلة الرسالة قصيدة رثاء فى الذكرى الأولى لوفاة الملك فيصل الأول ملك العراق آنذاك استهلها بقوله:

يا أبا غازى وما فينا سوى مستطار يمزج الدمع بدم

إلى أن يقول:

يا مليكا هاشميا ماله غير توحيد شعوب العرب هم[2]

ويبدو أن حياته بدأت تستقر فى مصر وتصفو فنشر بالرسالة قصيدة غزلية تدل على شئ من الأمل فى الحياة وإن كانت يغلب عليها الطابع الفلسفى وفيها يقول:

خلق الله للجمال قلوبا اجتباها من صفوة الشعراء

. . .

إن يكن فى الحدود جسمى فروحى تتهادى فى العالم اللانهائى[3]

على أى حال إذا لم تكن حياته بمصر خالية تماماً من الشوائب فهى تجنح إلى الاستقرار والهدوء، ولولا هذا- بلا شك- ما أنتج ذلك النتاج الوفير من المؤلفات.

---

(١) البلاغ- ٢٩ إبريل ١٩٣٤.

(٢) الرسالة - العدد ٦٢- ١٠ سبتمبر ١٩٣٤.

(٣) الرسالة - العدد ٤٥- ١٤ مايو ١٩٣٤.

لقد التحق باكثير بالجامعة المصرية التى كانت تسمى (جامعة فؤاد الأول) وتخرج من كلية الآداب- قسم اللغة الإنجليزية عام ١٩٣٩م. ثم التحق بمعهد المعلمين الذى كان يعد طلابه لمهنة التدريس وذلك عام ١٩٤٠م. ثم عمل بمصر وتزوج مصرية، وألف جل كتبه وهو يعيش في مصر، وحصل على الجنسية المصرية عام ١٩٥٣م. ثم توفى بمصر ودفن بها عام ١٩٦٩م(١).

باكثير والمسرح:

كان للمسرح النصيب الأوفى فى نتاج على أحمد باكثير أما عن المكونات الأدبية التى اتجهت به إلى فن المسرح فهى تكمن فى أمرين:

الأمر الأول: ظروف العصر التى هيأته لذلك.

والأمر الثانى: خصائصه النفسية التى جعلته يبدع فى هذا الميدان.

أما الأمر الأول وهو ظروف العصر فالذين شبوا وترعرعوا فى الربع الأول من هذا القرن من أبناء الأمة العربية والإسلامية تفتحت مداركهم على الشعوب وهى تغلى وتمور بأفكار التحرر من الاستعمار، ومكافحة قهر الحكام، والرغبة فى الانطلاق نحو التقدم، والإحساس بضرورة اللحاق بركب الأمم المتحضرة.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد فانبثقت الأفكار التى تضطرم فى نفوس أبناء الأمة العربية حيث جميع بلدانها «قد دارت فيها معارك حول تصور العروبة هل هى امتداد للإسلامية السابقة؟ أم أنها صورة من القوميات الغربية اللادينية، وكلها قد شغل بالبحث والمناقشة حول أمثل الطرق

---

(١) د/ أحمد السومحي- علي أحمد باكثير حياته وشعره- ص٦٤ وما بعدها- منشورات نادي جده الأدبي.

والأساليب للنهوض ولاستعادة القوة والتخلص من أسباب الضعف وآثاره»[1].

ولقد كانت أكثر الدول العربية والإسلامية التى تموج بهذه التيارات هى مصر فهى -آنذاك- مركز القلاقل مما أدى إلى اشتعال الثورة المصرية عام ١٩١٩م.

ثم كانت هناك الزلزلة فى الآراء حيث قام بعض المثقفين بالثقافة الحديثة يبثون مفاهيم جديدة لم يألفها الناس من قبل فقامت المعارك الطاحنة بين أنصار القديم وأنصار الحديث، ولقد شملت حملات الرغبة فى التطوير نواحى كثيرة كان لها أثر بالغ على النفوس كقضية تحرير المرأة وتعليمها، ومسألة السفور والحجاب والاختلاط[٢].

وكأن الثورة السياسية المتمثلة فى ثورة ١٩١٩م قد تمخضت عن ثورة اجتماعية ضد الكثير مما هو مألوف وشائع، فأدى ذلك إلى بروز آراء متطرفة فأمسى هذا العصر يعانى من دعوات هدامة لم يألفها من قبل[٣].

وذلك كالدعوة التى قام بها سلامة موسى ونادى بالتغريب والاتجاه كلية نحو الغرب ونبذ الثقافة العربية، كما يتضح ذلك فى كتابه (اليوم والغد) الذى أصدره عام ١٩٢٨[٤]. ولقد تسببت هذه المفاهيم الغربية الهدامة فى

---

(١) د/ محمد محمد حسين- الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر- الجزء الأول ص٦- الطبعة الثالثة.

(٢) راجع: محمد محمد حسين- الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر- الجزء الثاني- الفصل الثالث- (قديم وجديد).

(٣) المرجع السابق.

(٤) د/ محمد مصطفى هدارة- دراسات في الشعر العربي الحديث ص٢٠- الطبعة الثانية- دار المعرفة الجامعية.

إيقاظ الكثير من الهمم فانطلق فريق من أصحاب الأقلام ينافحون عن ميراث الأمة من الحضارة وينادون بوجوب الحفاظ على الدين والتمسك بالتراث العربى فى مواجهة الثقافة الغربية دفاعاً عن أعدائها وبخاصة الذين هم داخل الأمة(١).

ومن هنا يمكننا القول أن باكثير بعد أن تشرب الأصالة العربية والإسلامية وتثقف بهما، ورأى أعداء الأمة يتناوشونها وجد نفسه مكلفاً بالدفاع عن هذه المقدسات وتلك الثوابت، فأمسى وهو الدارس لتاريخ أمته وتراثها يجد فى هذا التاريخ لآلئ وجواهر من المعانى والقيم والمبادئ، ثم كان وهو الذى عانى من الصراع الحاد فى حياته ودار مع مجتمعه فى فورانه واضطرابه لابد له أن يتجه إلى الفن الأدبى الذى يعالج هذا الصراع ليدافع به عن تاريخ أمته وتراثها وهذا الصراع لا يتمثل على حقيقته كما يتمثل فى المسرح حيث المسرحية ميدانها الصراع الذى يدور فى الحياة.

الأمر الثانى: خصائصه النفسية: وهذا الصراع الذى ألمحنا إليه سوف يبرز أمامنا الدافع الآخر والمؤثر القوى الذى جعل على أحمد باكثير يتجه إلى المسرح وهو خصائصه النفسية التى سرعان ما تجاوزت مع هذا الفن الأدبى فكأنما المقادير قد ساقته ليكون مؤلفاً مسرحياً حيث الحياة التى خاض غمارها تدفعه دفعاً نحو الغاية التى تغياها وهى الدعوة إلى إصلاح المجتمع متخذاً الفن المسرحى سلاحاً له.

فما إن جاء إلى مصر والتحق بقسم اللغة الإنجليزية بكلية الآداب حتى وجد فى المسرحية ضالته المنشودة. لقد درس فى الكلية هذا الجنس الأدبى.

(١) راجع: محمد الكتاني- الصراع بين القديم والجديد في الأدب العربي الحديث. وأيضاً عمر الدسوقي- في الأدب الحديث- الجزء الأول ص٣٦٦- دار الفكر العربي.

ومن قبل قد بهر باطلاعه على مسرحيات شوقى الشعرية لأول مرة وهو يحدثنا عن اكتشافه لهذا الكائن الجديد بالنسبة له قائلاً: "كان لاطلاعى على هذه المسرحيات الشوقية أثر كبير فى نفسى، فقد هزنى من الأعماق وأرانى لأول مرة فى حياتي كيف يمكن للشعر أن يكون ذا مجال واسع فى الحياة حين يخرج عن نطاق ذاتية قائله إلى عالم فسيح يتسع لكل قصة فى التاريخ أو حدث من الأحداث. وكنت إذ ذاك ممتلئاً بالثورة على ما كان عليه حال بلدى حضرموت من التخلف عن ركب الحضارة والتأخر فى كل ميدان من ميادين الحياة، وبالسخط على الأوضاع الاجتماعية السائدة هناك مضافاً إلى ذلك كله أزمة نفسية أليمة من جراء وفاة شخص عزيز على هو زوجى الأولى التى اختطفها المنون وهى فى بواكير الشباب"(١).

وليس معنى إعجابه بمسرحيات شوقى أنه يرى المسرحية لابد وأن تكون شعراً فالمسرحية تؤدى باللغة المناسبة ويمكن لها أن تؤدى بالنظم كما يمكن أن تتعداه إلى النثر(٢).

ولكون الفن المسرحى يركز على احتدام الصراع حينما تشتبك النوازع وتتضارب العواطف وتتصاول الأهواء- كانت المسرحية أقدر على ولوج هذا الميدان من الأجناس الأدبية الأخرى بل هى لا تتحقق إلا فى عالم الصراع بخلاف الشعر والقصة، فالشعر قد يتحقق بعيداً عن الصراع تماماً كأن يوجد فى حديث الشاعر مع نفسه، أو فى مناجاة حجر من الأحجار أو وصف منظر من مناظر الطبيعة، بينما المسرح إن وجد فيه هذا يمر كاللمحة الخاطفة، والقصة قد تتحقق فى محاورة بين شخصين بل قد تتم مع شخص

(١) علي أحمد باكثير- فن المسرحية من خلال تجاربي الشخصية- ص٦- مكتبة مصر.
(٢) المرجع السابق ص٢٠.

واحد يكتب مذكراته أو إنسان جالس يناجى نفسه وقد يتحقق الصراع فى الشعر والقصة ولكنه لا يمكن أن يكون كما نراه فى المسرحية إذ «يتعين على المؤلف المسرحى أن يتخير من الأشخاص من تعقدت حياتهم إلى الحد الذي يستطيعون معه أن تكون قلوبهم موضعاً لانفعالات مختلفة، ونفوسهم مظهرة لطبائع متباينة، وعقولهم قادرة على التعبير والإفصاح"[1].

وهناك وجه شبه بين الشعر والمسرحية وهذا الشبه يكمن فى أهم خصائص المسرحية وهو الحوار الذى من خلاله يتضح الصراع ذلك الحوار الذى ينبغى أن يهدف إلى الإيجاز لا التطويل كما أن الشعر يهتم بالتركيز لا البسط فكلاهما أى الشعر والحوار يعمد إلى الإفهام باللمحة والإقناع بالكلمات القليلة المؤثرة، والتأثير فى المتلقى بالعبارة الموحية[2].

ومن الثابت تاريخياً أن المسرحية قد نشأت فى أول أمرها شعراً[3]. ولما كان باكثير فى أول حياته شاعراً نراه قد تمرس بمنهج الأداء الشعرى فى الاهتمام بالإيجاز والتعبير بالجمل القصيرة الموحية، والنفاذ إلى القلوب من خلال العبارات المحددة المؤثرة فلما غاص المسرح كانت اللغة الشعرية التى اعتادها والتى تعنى بالتركيز خير معين له فى تأدية الحوار بالصورة الفنية المطلوبة.

وذلك بالطبع بعد أن تعمق الحياة واندمج فى تياراتها ودار مع رحاها وصقلته الأحداث التى منى بها مجتمعه وخبر البشر فى طهارتهم ودنسهم وألم بالنفوس فى ارتفاعها وإسفافها، وغمرته المجتمعات فى هدوئها

---

(١) توفيق الحكيم- فن الأدب- ص١٤٥- مكتبة الآداب.
(٢) توفيق الحكيم- فن الأدب- ص١٤٨- مكتبة الآداب.
(٣) جبور عبد النور- المعجم الأدبي- ص٢٤٨- دار العلم للملايين.

وضجيجها والمؤلف المسرحى إذا امتلك تلك الخبرة، وأمدته الموهبة، ثم توفرت له سبل الدراسة التى يصقل بها خبراته وينمى بها مواهبه لابد وأن يبدع فى فنه.

ومن هنا كان لزاماً أن يخوض (على أحمد باكثير) عالم المسرح أكثر وأعمق من الأجناس الأدبية الأخرى كالشعر والقصة والمقال.

كما أنه أنتج معظم مسرحياته نثراً لا شعراً وذلك لأنه جال وصال فى التاريخ واندمج مع الماضى يعيش بروحه فى كنفه ويتصور تلك العوالم بخياله وكأنه يريد تقديم الحقائق التاريخية خالية من عنصر التأثير بالصور الشعرية على المتلقى.

"والشاعر قد يتخلى تماماً عن المنهج الشعرى فى التعبير عندما يتصدى لحادثة تاريخية يريد إثباتها بأكبر قدر من الصدق وقد يرى أن النثر أقدر على تلبية مطلبه"(١).

باكثير والتاريخ:

لقد كان التاريخ هو المحور الذى تدور حوله معظم مؤلفات باكثير فنراه اتجه نحوه يبثه مشاعره، ويودعه أحاسيسه، ويستنهض الأمة من خلاله لتنفض عن نفسها غبار التخلف وتلحق بركب التطور وتندفع به نحو الانطلاق وذلك واضح تمام الوضوح حتى فى مؤلفاته غير المسرحية (كالثائر الأحمر) وقصة (وإسلاماه) وتراث الأمة هو خير معوان لها فى محنتها ليبعث فيها روح الأمل من جديد، ويحميها من مثبطات اليأس ويصونها عن الإحباط وكأنه باستلهام التاريخ المشرق للأمة يضع أمامها البراهين

---

(١) د/ محمد عناني- الشعر والتاريخ في المسرح ص٩ وما بعدها - مكتبة الأسرة.

الساطعة على تحويل الهزائم إلى انتصارات.

فالاطلاع على العمق الحضارى لها من شأنه أن يجدد فيها روح الأمل ويشحذ همتها ويرسم لها طريق المستقبل ويدفعها دفعا إلى كل ما من شأنه أن يجعلها تحقق كل ما تريد من خلال تجارب الماضى الذى كان يوما ما مزدهرا متألقا خفاقا ولديه القدرة على أن ينير الدرب من جديد فيصبح فى مكنته أن يقيم الحاضر بالماضى ويشد أزر ما هو كائن بما كان "فالأحداث والشخصيات التاريخية ليست مجرد ظواهر كونية عابرة، بل لها دلالتها الشمولية الباقية والقابلة للتجدد فى صيغ وأشكال أخرى. وهذه الدلالة بما تشتمل عليه من قابلية للتأويل هى التى يستغلها الأديب المعاصر فى التعبير عن بعض جوانب تجربته ليكسبها نوعا من الإطراد والشمول وليضفى عليها لونا من جلال العراقة لأن التاريخ يدعم الواقع ويساعد على الاقتناع بالقضايا المثارة"(١).

المسرح التاريخى لدى باكثير:

لما كانت مسرحيات باكثير منقولة من كتب التاريخ فى الأحداث والحوار فما الغاية التى تغياها من صياغة التاريخ هكذا أى على صورة المسرحية؟

يمكننا أن نستنتج ذلك من واقع فعالية المسرح فى العصر الحديث لقد أصبح المسرح من أهم المؤثرات وأخطرها فى حياة الشعوب، ومن الواضح بمكان أن قراءة كتاب من كتب التاريخ القديمة أو الحديثة لا تحدث الاستمتاع للقارئ مثلما تحدثه قراءة هذه الأحداث فى صورة مسرحية هذا

---

(١) د/ علي عشري زايد- استخدام الشخصية التراثية ص٣٠ [رسالة دكتوراه بدار العلوم] نقلا عن كتاب د/ محمد موافي- المسرح بعد شوقي ص١٧- النادي الأدبي بالمدينة المنورة.

الاستمتاع يتم بسبب الإقبال على قراءة المسرحية لسهولتها عن مطالعة نفس المضمون من خلال كتاب تاريخى، فإذا أضيف إلى السهولة عنصر التشويق اكتمل الأمر وأصبح القارئ شغوفا بهذا اللون من صياغة التاريخ مسرحيا مدفوعا إلى قراءته.

ونحن نتحدث عن قراءة المسرحية لا عن تمثيلها لأن معظم مسرحيات باكثير لا يمكن تمثيلها حيث حوادث الحروب يصعب نقلها على المسرح ثم هناك- وهو الأهم- أن الشخصيات الرئيسية التى تدور حولها الأحداث هى الشخصيات ذات القداسة الدينية الخاصة كالصحابة الكبار (الخلفاء الراشدون- والعشرة المبشرون بالجنة- وأمهات المؤمنين) وهى شخصيات تزخر بها مسرحياته ومن البدهى أن باكثير يدرك استحالة السماح بتشخيص هؤلاء فيقوم بأدوارهم على المسرح ممثلون معروفون للناس قدموا من قبل شخصيات بينها وبين هذه الشخصيات ذات القداسة بون شاسع على الأقل فى نظرة المجتمع لهم ولربما قد مثلوا من قبل أدوار أناس مستهترين غير منضبطين فكيف يتسنى للمجتمع المسلم أن يراهم يقومون بتشخيص الخلفاء الراشدين وأمهات المؤمنين وطالما الأمر هكذا لجأ باكثير إلى الأسلوب المسرحى ليستمتع به القراء فلسوف يقبلون على قراءة المسرحية إقبالاً يفوق إقبالهم على قراءة كتاب تاريخي- كما أسلفنا- والنص المسرحي المقروء له جمهور لا يقل عن جمهور المسرح الحى المشاهد أمام النظارة، ومن هنا نجد دور النشر تتسابق إلى نشر المسرحيات لإشباع نهم القراء للعيش مع التاريخ من خلال الحوار حيث أنه "إذا ذكرت المسرحية ذكرت معها كلمة الحوار وذلك أن الحوار هو أداة المسرحية.. فهو الذى يعرض الحوادث ويخلق الأشخاص ويقيم المسرحية من مبدئها إلى ختامها"(١).

---

(١) توفيق الحكيم- فن الأدب- ص١٤٨- مكتبة الآداب.

وكما قلنا لا تقف فائدة المسرحية عند مثيلها بل الفائدة تتعدى التمثيل إلى القراءة- القراءة للأحداث من خلال الحوار وهنا يبنى القارئ لنفسه مسرحاً متخيلاً يستغنى فيه عن خشبة المسرح والممثلين والجمهور، ويقيم الحوار فى عالم خاص به قوامه الخيال والممثلون هم التاريخ الحق، والذى يجعله مسرحاً وليس رواية للتاريخ هو تقديم الأحداث فى صورة الحوار "والحوار باعتباره أداة المسرحية تقع عليه أعباء كثيرة بل عليه وحده تقع كل الأعباء، فمنه نعرف قصة المسرحية وما انطوت عليه من حوادث ومواقف، وهو لا يقصها علينا حكاية وقعت فى الماضى، ولكنه يقيمها أمام أعيننا فى الحاضر حية نابضة تتحرك، فالحوار هو الحاضر هو ما يحدث فى اللحظة التى نحن فيها حاضر أبدى لا يمكن أن يكون ماضيا أبدا.. فمهمة الحوار إذن ليست أن يروى ما حدث لأشخاص ولكن مهمته أن يجعلهم يعيشون حوادثهم أمامنا مباشرة دون وسيط أو ترجمان"(١).

وقد يقول قائل: إن هذا يصدق على الحوار المشاهد الممثل أمامنا على خشبة المسرح ولكن هذا أيضا يصدق على المسرح المقروء، بل ربما لو كان هناك إحصاء لوجدنا جمهور المسرخية من القراء يفوق جمهور المشاهدين للمسرحية عدداً كما أن أدب المسرحية المشاهدة أو المذاعة يتقيد بلحظات سريعة وسرعان ما نجد الكلمات التى سمعناها قد تلاشت ولا يمكننا متابعتها وذلك بعكس الأدب المقروء الذى يمكننا من قراءته على مهل ومتابعته ومراجعته "لأنه يشغل حيزاً فى مكان، وهو حيز يبقى عليه ويحفظه ويعطينا الفرصة كاملة كى نراجعه ونلم به فى دقة ونستوعبه ونتأمل فيه، وقد نعود إليه مراراً لنجدد متعتنا به وما أكثر ما نعود إليه إذا أعجبنا به فنقرؤه

---

(١) توفيق الحكيم- فن الأدب- ص٤٨-٤٩- مكتبة الآداب.

متمهلين كما يحلو لنا، ومن من فقرة نعيد النظر فيها: النظر عن قرب إلى كل أجزائها. ونحن في أثناء ذلك نفكر ونطيل التفكير ونتوقف ونطيل التوقف متعجبين أو منفعلين متأثرين أما في الكلمة المذاعة المسموعة [وهي تنطبق على الكلمة المسموعة في المسرحية المشاهدة] فإننا ننطلق معها بدون توقف كأننا في سباق، أو كأن وراءنا عدوا يرصدنا فنحن في عجلة من أمرنا وسماعنا وليس لدينا أي فرصة كي نتأمل كلمة أو نتمتع بها ونستشف ما وراءها من الأحاسيس"(١).

ولكون معظم مسرحيات باكثير لا يمكن تمثيلها نراه قد خرج أحياناً على بعض قواعد المسرحية وبخاصة قانون الوحدات الثلاث (وحدة الزمان، ووحدة المكان، ووحدة العمل)(٢).

على أن خروجه عن قانون الوحدات الثلاث هذا لا ينافي أن إنتاجه يعد من الأعمال المسرحية، فقد أباح النقاد للكاتب المسرحي أن يخرج على القوانين الأدبية إذا كان الكاتب من المبدعين الذين يرقون بأذواق الجمهور فيصبح خروجهم هذا من الصالح العام "فإذا وجد الفنان الموهوب أن القوانين تعوقه تركها جانباً من غير تردد"(٣).

ومن هنا خلت معظم مسرحيات باكثير من أهم الأمور التي تنبني عليها المسرحية وهي (العقدة)(٤).

وختاماً لهذه النقطة في البحث رؤيتنا أن باكثير في مسرحياته

---

(١) د/ شوقي ضيف- في التراث والشعر واللغة ص٢٧١ دار المعارف.
(٢) راجع: عمر الدسوقي- المسرحية نشأتها وتاريخها وأصولها ص٧٣- الطبعة الثانية.
(٣) المرجع السابق ص٣٣٥.
(٤) المرجع السابق ص٣٣٨.

التاريخية الإسلامية كان يسير ضمن القضية التى ترى أن العمل الأدبى ينبغى أن يقدم الحقيقة كما يقدم المتعة(١).

وهكذا كانت مسرحيات على أحمد باكثير التى يتضح فيها التيار الإسلامى تنضح بالحقيقة التاريخية مغلفة بالحوار التاريخى فى صورة مسرحية تاريخية ترضى أذواق قراء عالم الأدب ولا تتنافى مع حقائق التاريخ.

منزلة باكثير فى عالم المسرح:

الحديث عن هذه المسألة يأتى لتوضيح الاتجاه الذى استنه باكثير وهو تقديم الشخصيات الإسلامية ذات القداسة فى مسرحيات تقرأ ولا تمثل حيث لم يوجد من اعترض على هذه الطريقة التى لا نرى أحدا استحدثها قبل باكثير. وطالما النقاد المهتمون بأمر المسرح يثنون عليه بصورة عامة فكأنهم بذلك يؤيدون ما ذهب إليه ويوافقونه على ما فعل وهذا المؤرخ الأدبى (أنيس المقدسى) وهو من كبار النقاد المعاصرين فى كتابه (الفنون الأدبية وأعلامها) يرى أن أبرز أعلام فن المسرحية من الرواد هم "فرح أنطون، توفيق الحكيم، محمود تيمور، على أحمد باكثير"(٢).

والخبير المسرحى الكبير (زكى طليمات) يقول: "والمسرحيات العربية التى يكتبها توفيق الحكيم، ومحمود تيمور، وعلى أحمد باكثير تقف اليوم بجدارة إلى جانب المسرحيات العالمية"(٣).

---

(١) د/ عز الدين إسماعيل- قضايا الإنسان في الأدب المسرحي المعاصر ص١٢ وما بعدها دار الفكر العربي.

(٢) أنيس المقدسي- الفنون الأدبية وأعلاما ص٥٤٠- دار العلم للملايين.

(٣) مجلة الرائد العربي (الكويتية)- العدد ٢٨- السنة الثالثة- ص٥٧ [نقلاً عن كتاب أنيس المقدسي- الفنون الأدبية وأعلامها ص٥٤٠].

ويأتى بعد ذلك المؤرخ المسرحى الدكتور (على الراعى) ليعد باكثير من الرواد فى عالم المسرح العربى[1].

التيار الإسلامى فى مسرح باكثير:

خير ما يوضح التيار الإسلامى لدى باكثير؛ المسرحيات التاريخية لكونه كان مغرماً بالتاريخ- تاريخ الإنسانية بصورة عامة، ثم التاريخ الإسلامى والعربى بصورة خاصة، وهناك مسرحيات اجتماعية يلوح فيها الإسلام من جانبه الاجتماعى ونوع آخر من المسرحيات الفلسفية الرمزية يطلعنا من خلالها على وجهة نظره فى بعض القضايا الإسلامية وعلى هذا يمكن تقسيم التيار الإسلامى فى مسرحيات باكثير إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: مسرحيات تاريخية.

القسم الثاني: مسرحيات اجتماعية.

القسم الثالث: مسرحيات فلسفية.

ثم المسرحيات التاريخية تنقسم بدورها إلى أقسام ثلاثة:

١- مسرحيات ذات صبغة ملمحية.

٢- مسرحيات تعنى بالشخصيات الإسلامية.

٣- مسرحيات توضح فكرة إسلامية.

القسم الأول: المسرحيات التاريخية الملحمية:

هذه المسرحيات هى فى المجموعة التى أسماها (الملحمة الإسلامية الكبرى- عمر) بأجزائها الثلاثة وتشتمل على تسع عشرة مسرحية وتكاد تكون منقولة بالحرف من أمهات كتب التاريخ إذ بالرجوع إلى المصادر

---

(١) د/ علي الراعي- المسرح في الوطن العربي- ص٨٥- سلسلة عالم المعرفة- الكويت.

التاريخية المعتمدة فى التاريخ الإسلامى: كتاريخ الطبرى- سيرة ابن هشام- طبقات ابن سعد- فتوح الشام للواقدى- فتوح البلدان للبلاذرى- الإصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر- تاريخ الإسلام للذهبى- البداية والنهاية لابن كثير- أسد الغابة فى معرفة الصحابة لابن الأثير. وهذه ذكرت على سبيل المثال.

أمهات كتب التاريخ تلك وغيرها هى التى نقل منها باكثير مسرحياته فالأحداث هى بحذافيرها، والحوار هو هو برمته، والخطب التى قيلت مروية بألفاظها. والعمل الذى نراه لباكثير هو صياغتها فى صورة مسرحية أما الأحداث فكتب التاريخ تؤكدها، والحوار قد ورد فيها بصورته غير أن هناك تركيزا على حوادث معينة هى التى من خلالها تبرز الإسلام ويتضح ثم نجد الاهتمام بعبارات دلالاتها تؤكد المفاهيم الإسلامية من خلال الحوار الذى هو مأخوذ بدوره من كتب التاريخ وعلى هذا ليس هناك أى تناقض فى الحوادث التى قصها باكثير أو الحوار الذى أورده وبين الحقائق التاريخية الثابتة ولما كان باكثير قد سمى ما قام به ونحن بصدد الحديث عنه (ملحمة) فرؤيتنا لها أنها تدرج ضمن الملحمة بمفهومها الأدبى فى بعض جوانبها "فقد اصطلح فى الآداب العالمية أن الملحمة قصة بطولة تروى شعراً وتحتوى على أفعال عجيبة وحوادث خارقة وفيها يتجاور الوصف مع الحوار وصور الشخصيات والخطب ولكن الحكاية هى العنصر الذى يسيطر على ما عداه"(١).

ومادمنا قلنا فى بعض جوانبها فيمكننا القول أن ما أنتجه باكثير وأطلق عليه تعبير (الملحمة) قديرى البعض أن فيه شيئا من التجاوز،

(١) د/ محمد غنيمي هلال- المواقف الأدبية- ص٣١- القاهرة- معهد الدراسات العربية.

وبخاصة إذا نظرنا للملحمة من أن بها حوادث مختلفة غير حقيقية وتزخر بوقائع غير معقولة، وبها كثير من الرؤى الخيالية إلا أن الأحداث التاريخية التى أوردها (باكثير) هى وقائع حقيقية أكدها مؤرخون ثقة مشهود لهم بالدقة وتحرى الصدق.

وليس بالضرورة أن يتحقق فيما قدمه (باكثير) الفن الملحمى بحذافيره حتى يحصل على هذا الاسم فالتشبيه قد يكون فى جانب دون الآخر. ونحن دائما ما نذكر قول أبى تمام:

إقدام عمرو في سماحة حاتم	في حلم أحنف في ذكاء إياس
لا تنكروا ضربي له من دونه	مثلا شرودا في الندي والباس
فالله قد ضرب الأقل لنوره	مثلا من المشكاة والنبراس[1]

ثم كانت صفة عبد الله بن عباس أنه حبر هذه الأمة. والحبر هو عالم الدين اليهودى وربما لم يكن أحد يرضى بأن يوصف بصفات أحد اليهود حتى ولو كان من علمائهم وبخاصة حينما يقرأ صفات معظم الأحبار فى قول الله تعالى (**يا أيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم**)[2] وعلى الرغم من هذا يقول ابن عباس: انتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعنده جبريل، فقال له جبريل «إنه كائن حبر هذه الأمة فاستوص به خيرا»[3] ولقد تواتر الصحابة على نعت ابن عباس بهذه الصفة. فلما مات زيد بن ثابت قال

---

(١) المنتخب من أدب العرب- المجلد الثاني- طه حسين وآخرون ص٢٣١- الهيئة العامة لقصور الثقافة.

(٢) سورة التوبة- آية ٣٤.

(٣) ابن حجر العسقلاني- تهذيب التهذيب- الجزء الخامس ص٢٤٧، ٢٤٨- دار الكتب العلمية بيروت.

أبوهريرة: مات حبر هذه الأمة، ولعل الله يجعل فى ابن عباس خلفا »[1].

وعن محمد بن الحنفية لما مات ابن عباس قال: مات والله حبر هذه الأمة[2] إذن المقصود من تشبيه ابن عباس بالحبر هو سعة علمه، وتعمقه فى فهم الدين، وقدرته على الفتوى إذا ما سئل والإتيان بالدليل على ما يقول، ووصوله إلى درجة عظيمة فى فقه الإسلام. وليس المقصود نعته بشىء من الصفات الأخرى لليهود.

ومن هنا يمكننا القول إن فى ما قدمه (باكثير) لنا وسماه بالملحمة لا يأخذ كل الصفات التى تشتمل عليها الملحمة كما استقرت فى الآداب اليونانية. ويكفى أن يتحقق فيما قدمه العنصر القصصى التاريخى حيث نراه قد أتى بالأحداث التاريخية وجعلها بحيث تتآزر وتتآلف حتى ينتج منها ذلك اللون الجديد الذى أسماه هو بالملحمة. ولقد ننظر إلى قصيدة من الشعر فنقول إنها خالية تماما من القافية ولكنها قد تحقق فيها جانب الوزن والتفعيلات التى اكتشفها الخليل أو يكون هذا من باب قولنا قصة تواتر فيها الصدق التاريخى وافتعال بعض الأحداث التى لا تتعارض مع الإطار العام للشخصية التاريخية التى تدور حولها القصة.

ومن البدهى أن باكثير لم يقصد كلمة الملحمة بمعناها الدقيق فهو لم يلجأ إلى افتعال أشياء لم تحدث، ولم يختلق شيئا من الأفعال العجيبة، والأمور الخارقة، كما فى الملحمة. وإذا كان البطل الملحمى الأسطورى

---

(١) ابن حجر العسقلاني- الإصابة في تمييز الصحابة- الجزء الرابع ص١٢٧- دار الكتب العلمية - بيروت.

(٢) ابن حجر العسقلاني- الإصابة في تمييز الصحابة- الجزء الرابع ص١٣٠- دار الكتب العلمية- بيروت.

شخصيته غير حقيقية فالبطل فى الملحمة الإسلامية -التى سيمناها بهذا الاسم تجاوزا- بطل حقيقى وصفات البطولة لديه فوق قدرة البشر العاديين ولكنها ليست فوق قدرة البطولة الإنسانية التى تأتى فى مكانة سامية يمكن أن تتحقق فى نفر قلائل من البشر قد حباهم الله بمثل هذه القدرات. إذن فليس فيما أسماه باكثير - تجاوزا- بالملحمة كذب ولا افتراء ولا خيال يجنح غير حقيقى ولا أشياء خارقة ولا شئ يتعارض أصلاً مع نظرة الإسلام من العقيدة الوثنية التى كانت سائدة لدى اليونان ومن تأليههم لعظمائهم.

فإذا ما تجاوزنا (أنها تروى شعراً) سنجد الملحمة الإسلامية التى نحن بصدد الحديث عنها- بها كثير من خصائص الملحمة.

وليس بالضرورة أن تكون المقاييس الفنية لهذا الجنس الأدبى التى اصطلح عليها النقاد منطبقة تماماً على ما قدمه باكثير. ولكن يكفى أن يتحقق فيما قدمه من صور التقارب أكثر من صور التباعد ومن صور التشابه أكثر من صور الاختلاف.

ومن صور التوافق بين الملحمة الإسلامية لباكثير وبين المقاييس الفنية للملحمة كما أوردتها قواعد النقد الأدبى الحوار القصصى وهذا ما لجأ إليه باكثير وهو من أهم عوامل النجاح فى أعماله لكون "الشكل القصصى فى الملحمة يجعل المرء قادراً على وصف عدد من الأحداث التى وقعت فى وقت واحد وإذا كانت هذه الأحداث متينة الصلة بالموضوع زادت فى حجم القصيدة»[1].

---

(١) ديفيد ديتش- مناهج النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق- ص٧٥- ترجمة الدكتور/ محمد يوسف نجم- مؤسسة فرنكلين ١٩٦٧م.

فإذا تخلينا عن نظم الملحمة شعراً- كما قلنا- سنجد أن هذه المفاهيم توضح قدرة باكثير على ولوج عالم الملحمة (نثراً) والاقتراب كثيراً من صورتها في قواعدها التى استقرت عليها ومما يشفع لباكثير أن الفن المسرحي حديث النشأة فى العالم العربى وهو على الرغم من دراسته قواعد ذلك الفن فى الجامعة إلا أن الجمهور سيتقبل ذلك اللون الجديد حتى ولو كان على الصورة التى ارتضاها مؤلفنا لهذا الجمهور وذلك لأن الأدب العربى لم يعرف "المسرحيات ولا فن التمثيل... وعلى الرغم من معرفة العرب آثار اليونان الفكرية وعلى الرغم من ترجمتهم لأرسطو فإنهم لم يحاولوا احتذاء اليونانيين فى التمثيل ولا ترجمة شئ من مسرحياتهم"(١).

فما قام به باكثير على تلك الصورة يشفع له ويجعل ما أنتجه مقبولا حتى ولو لم يحتذ القواعد بصورة تامة. وإذا كانت الملحمة فى أصلها ذات أحداث خيالية فإن الأحداث التى ترويها الملحمة الإسلامية هى أحداث حقيقية كما أوضحنا من قبل. وكانت قدرة باكثير على جانب كبير من العبقرية مما جعلها تمزج بين الحدث الذى يقدمه فى صورة مسرحية والحدث الحقيقى وهما لا يلتقيان عادة(٢).

ثم تشامخت هذه العبقرية حيث قدمت المسرح والحقيقة فى صورة مسرحية ملحمية وكأنه بذلك يضع قواعد لميلاد فن أدبى جديد هو المسرح الملحمى المقروء. والملحمة الإسلامية التى نحن بصدد الحديث عنها إذا تعمقنا النظر فيها لا نجد البطل الملحمى هو عمر بن الخطاب كما يبدو للوهلة الأولى، والأولى أن تسمى (ملحمة الإسلام فى عهد عمر بن الخطاب)

---

(١) د/ محمد غنيمي هلال- الأدب المقارن ص١٦٩- الطبعة الثالثة.

(٢) د/ محمد غنيمي هلال- النقد الأدبي الحديث- ص٦٠٩- دار العودة بيروت.

فالمجموعة كلها بمجلداتها الثلاثة ذات التسع عشرة مسرحية يتراءى فيها الإسلام هو البطل الحقيقى محور الأحداث فكأنه شخصية حقيقية استقطبت باقى الشخصيات وجعلتها تدور فى فلكها. وإذا كان البطل فى الملاحم القديمة شخصية وهمية لكنها عايشت وجدان الجمهور فأصبح يحسه وينفعل به، ويصاحبه، ويتعاطف معه. فالإسلام هنا وهو معنى من المعانى المجردة قد جسده باكثير تجسيداً نكاد نراه في حسنا، ونعايشه فى وعينا، ونستجيب له فى أوامره ونواهيه. وما كان عمر بن الخطاب إلا ملبياً طائعاً لشخصية البطل الملحمى الذى هو الإسلام فكأن الإسلام وهو معنى مجرد يتحقق فى الأقوال والأفعال التى فرضها تبرزه الملحمة وقد تجسد ذاتاً بطولية خارقة. فكل حوار، أو حديث نفسى، أو تصرف فردى، أو فعل جماعى يهتف بما يؤكد صراحة أو تلميحا إلى أن الإسلام من وراء كل كلمة، وخلف أى همسة، الموجه لأى قول، المسيطر على كل فعل، والموحى بكل فضيلة، والضابط لأى انفعال، القاضى بين الآراء، والحكم عند كل اختلاف، وإليه يرجع الأمر كله من أمور الدنيا والآخرة. كل ذلك من خلال الإحساس بأن الإسلام بطل ملحمى، وكأنه ذات لها وجود فعلى وليس مجرد معنى من المعانى.

وقديما جنح بعض المفكرين الصوفية من المسلمين إلى شئ قريب من هذا «وهؤلاء هم الذين يقولون مع معروف الكرخى أن التصوف هو معرفة الحقائق الإلهية ويكثر فيهم الاشتغال بالفلسفة وتأويل مذاهبها ولكنهم ينقلونها من الفكر إلى الشعور ويحاولون أن يحسوها كإحساس المرء بالكائنات التى يتعلق بها الحب، ويشهد عليها الجمال. وكل فكرة يؤمن بها الصوفية تنطوى فى فكرة واحدة أصيلة شاملة لكل ما عداها وتلك هى

بطلان الظواهر وقيام الحقيقة فيما وراءها"[1].

وكما كان البطل فى الملاحم له قدرة خارقة تجعل الناس تدين له[2] كذلك كان الإسلام فانضوى تحت لوائه كل الأبطال المسلمين العظماء الذين نراهم وقد دانوا له، وخضعوا لسلطانه، وأذعنوا لحكمه. ومن هنا كان البطل الملحمى الذى هو الإسلام- كما أظنه- عند باكثير خارقا إذ لولاه لما وصل العرب إلى ما وصلوا إليه ولما هزموا الروم والفرس وهما أكبر دولتين آنذاك فى زمن قياسى.

البطولة الإسلامية فى الملحمة:

صور البطولة الإسلامية التى نراها فى الملحمة الإسلامية كثيرة متعددة متنوعة واستقصاؤها كاملة يؤدى بنا إلى ولوج مرحلة طويلة من الإحصاء والعرض والبحث بهذه الصورة سيقوم بشبه تلخيص لكل الأحداث التى جعلها المؤلف تنم عن عظمة البطولة الإسلامية وروعة جهادها فى سبيل الحق، وإتيانها بالخوارق من الأعمال إذا ما قيست بأى بطولة إنسانية أخرى- كما هو شأن البطل فى الملاحم الإغريقية[3]، سواء أكانت بطولة فردية أم جماعية إذن ولدينا هذا الكم الهائل من الصور المتعددة التى تبهرنا بالبطل الإسلامى ينبغى أن نتخير أكثرها دلالة وأشدها فاعلية والحكمة تقول (يكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق) وخير ما يمثل لنا بطولة الإسلام فى الملحمة:

* العقيدة وسيطرتها على النفوس.

---

(١) عباس العقاد -الله- ص١٤٤- مطبوعات مكتبة الأسرة.

(٢) د/ محمد غنيمي هلال- المواقف الأدبية- ص٦٨- معهد الدراسات العربية- القاهرة.

(٣) المرجع السابق ص٦٧ وما بعدها.

* الحاكم المسلم الذى تجلت فيه مثالية الإسلام.

أما العقيدة: فهى تقترب بصورة البطولة الإسلامية من البطولة الملحمية وبخاصة أن البطل الملحمى ينسج على منوال خاص يجعله ذا تأثير قوى شديد فى أتباعه وله مقدرة نافذة فى تغيير نمط الحياة من حوله(١).

وتتضح العقيدة فى استجابة المسلمين لهذا الدين الجديد، وتفانيهم فيه مضربين صفحا عن كل ما من شأنه أن يستدرجهم لحياتهم السابقة قبل الإسلام فلقد أصبحوا يدورون فى فلك هذا الدين الجديد حيث دار فالمفاهيم الإيمانية الجديدة التى أتى بها الإسلام فآمنت بها عقولهم، واطمأنت إليها قلوبهم. واستجابت لها تصرفاتهم- ذلك كله لم يكن إلا بسبب سيطرة العقيدة عليهم مما جعل حياتهم برمتها خاضعة لهذه العقيدة وخير ما يمثل ذلك مواقفهم فى ميدان الجهاد حيث الاستبسال والإيثار والتفانى فى الإسلام والرغبة فى الاستشهاد. كما أنه فى السلم كانت العقيدة شاهدا لسمو الإسلام ومثاليته وسماحته وإنسانيته فى السلم والحرب وعمارته للكون وعدالته بين المسلمين وغيرهم وتكافل المجتمع الإسلامى ثم ما أروع تصوير الملحمة لتعضيد الله للمسلمين وتوفيقهم فى أمور الدنيا والآخرة لقد بينت الملحمة أن المسلمين ينتسبون إلى الإسلام كما ينتمى الابن لأبيه فعمر ابن الخطاب يقول لمن حوله من الصحابة لقد بعثت فى طلب ابن الإسلام ويتعجب الجميع من عبارة ابن الإسلام هذه. فيقول لهم عمر: أتعجبون من ابن الإسلام كلنا ابن الإسلام إن شاء الله. ثم يظهر سلمان الفارسى فيقول لهم عمر: هذا ابن الإسلام قد أقبل مرحبا بك يا سلمان، مرحبا بالرجل الفارسى الذى لا ينتمى إلى بنى زهرة، ولا إلى بنى عبد مناف، ولكن الله

(١) المرجع السابق.

شرفه بما هو خير من ذلك... ثم يستمر الحوار إلى أن يقول عمر: وأنا عمر ابن الإسلام، أخو سلمان ابن الإسلام، وأخو صهيب ابن الإسلام، وأخو بلال ابن الإسلام[1].

ثم يؤازر الفعل القول حينما يدخل على عمر أبو سفيان بن حرب، وصفوان بن أمية، وصهيب، وخباب. ويريد أبو سفيان أن يكلم عمر قبل صهيب وخباب فينهر عمر أبا سفيان قائلا:

ويلك أتؤخر أصحاب رسول الله من أجل أصحابك؟ هذا خباب ابن الأرت الذى عذبتموه فى الله فصبر وشكر وهذا صهيب الذى ترك لكم كل ماله لتخلوا بينه وبين الهجرة إلى الله فأنزل الله فيه (**ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد**).

فيقول له صفوان لا بأس قدمهما علينا يا أمير المؤمنين إن شئت، فيجيبه عمر: تلك مشيئة الله يا صفوان بن أمية لا مشيئة عمر.. ما على الأرض اليوم أحد أحق بالتقدم من هؤلاء الأربعة: خباب، وصهيب، وبلال، وعمار بن ياسر وما أحد على الأرض أحق أن يتواضع لهؤلاء ويتحبب إليهم منكما ومن أشباهكما من مسلمة الفتح[2].

ومن هنا انقاد كل المسلمين إلى تقدير الصحابة الذين رافقوا الإسلام فى بطولاته وكلما كانوا من السابقين إلى الانضواء تحت لوائه، ازداد المجتمع فى تقديرهم ومحبتهم وذلك الذى حدا بعبد الله بن عمرو بن العاص أن يقف من أبيه موقف المعاتب لأنه أغضب مسلمة بن مخلد حينما وصفه

(١) باكثير: الملحمة الإسلامية -القوي الأمين- المشهد الثالث.

(٢) باكثير: الملحمة الإسلامية- عام الرماد- المشهد السادس.

بأنه مكتنز الجسم كالنساء ومما قاله عبد الله لأبيه: ما كلام بلغنى أنك قلته لمسلمة بن مخلد أسفاهة يا أبت كسفاهة الجاهلية وقد أكرمك الله بالإسلام وجعلك أميرا على صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم(١).

ولولا العقيدة وتأثيرها على نفوس الذين اتبعوا الإسلام لما استجاب خالد بن الوليد وهو فى قمة مجده وانتصاره لأمر عمر بن الخطاب حينما تولى الخلافة فأمر بعزله وتولية أبى عبيدة، فحينما جاء كتاب أمير المؤمنين بذلك لأبى عبيدة أطلع خالدا عليه وقال له: والله يا خالد لوددت لو بقيت فى منصبك أميرا للجيش فأنت أعلم منى بالحرب... ثم قال لبث قليلا فلن أزال بابن الخطاب حتى يعيدك حيث كنت، فيجيبه خالد كلا لا تفعل أنشدك الله. إنا يا أبا عبيدة لا نعمل لعمر ولا لغير عمر، إنما نعمل لله الحى القيوم الذى لا يموت(٢).

وفى حوار دار بين أحد المسلمين (زهرة بن الحوية) وبين رستم قائد الفرس فى معسكرهم حينما جاءه زهرة رسولا من الجيش الإسلامى ليفاوضه ويشرح له السبب فى مجئ الإسلام محاربا إلى هذه البلاد فيقول: إنا لم نستبدل عهدا بعهد أو حاكما بحاكم، ولكنا كنا ضلالا فهدانا الله، وكنا أعداء فألف الله بين قلوبنا وكنا لا نريد الآخرة ولا نعرفها وإنما نريد الدنيا ولا نعرف طريقها فأرشدنا الله إلى حسن متاع الدنيا وحسن ثواب الآخرة، وكنا لا نبغى الخير إلا لأنفسنا فأصبح اليوم حقا علينا أن ندعو الناس إلى الخير الذى هدينا إليه... ويستمر زهرة فى توضيح عقيدة الإسلام التى بسببها تغيرت أحوالهم: لابد أنه حادث جلل فما هو؟ إنه دين

---

(١) باكثير: الملحمة الإسلامية- شطا وأرمانوسة- المشهد الأول.

(٢) باكثير: الملحمة الإسلامية- علي أسوار دمشق- المشهد الثامن.

الحق الذى جئنا لندعوكم إليه لا يرغب عنه أحد إلا ذل، ولا يعتصم به أحد إلا عز.

ويستوضحه رستم هل لك أن تشرح لى ما هذا الدين الذى تدعونا إليه، فيجيبه زهرة: أما شعاره فشهادة ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأما أساسه فإخراجه العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده والناس جميعا بنو آدم وحواء إخوة لأب وأم. ثم يحاول رستم أن يستميله فيعده بأنه إن انضم للفرس سيوليه ولاية، فيجيبه بأنه كان واليا على (هجر) ثم تركها زهدا فيها ليجاهد فى سبيل الله فيكتب له ثواب المجاهدين على أنه ومعه المسلمون لا ينوون شرا بالفرس ولا بأى بلد ينوون فتحه بل إن حربهم لمن خالفهم فى الدين من أجل إسعادهم بهذه العقيدة ثم يقول زهرة قسما بالله لو خيرت بين أن أقتل وتسلم أنت وبين أن أبقى ولا تسلم أنت لآثرت الأولى على الثانية[1].

ومن صور البطولة الإسلامية الملحمية التى تجسدت فى المعركة ما قام به (علباء بن جحش) حينما نادى خالد بن الوليد فى معركة القادسية النجدة النجدة يا أبطال المسلمين فيجيبه لبيك أنا علباء بن جحش ثم يشد على أحد المشركين فيطيح برأسه ولكن آخر يغافله ويطعنه فى بطنه فتنتشر أمعاؤه على الأرض فينحنى جامعا لها وينادى رحم الله مسلما أعاننى فأدخل لى أمعائى فيعينه رجل من السملمين ثم يركض إلى الميدان ويد على بطنه وأخرى تحمل السيف وهو يرتجز:

أرجـو بهـا من ربنا ثوابا ... قـد كنت ممن أحسن الضـرابا

(١) باكثير: الملحمة الإسلامية- رستم- المشهد الثالث.

ويظل يضرب إلى أن يستشهد مما جعل سلمان الفارسي يصيح متعجبا فرحا: الله ما أثبت جنانه[1].

وما كان للبطر والغرور أن يتسرب إلى قلب أشجع المسلمين وأكثرهم بلاء فى الفتوحات وهو خالد بن الوليد إذ نراه يسلم الأمور كلها لله فهو الذى أوصل المسلمين إلى ما وصلوا إليه ولولاه ما استطاعوا أن يحققوا شيئا فيقول خالد لأهل (قنسرين) وهو محاصرهم: (والله لو كنتم فى السحاب لحملنا الله إليكم، أو لأنزلكم الله إلينا)[2].

فهو يرجع الأمر لله ولا يقول مهما تحصنتم سنفعل كذا وسنفعل كذا وهذا (طليحة الأسدى) وكان من أهل الردة بل من الذين ادعوا النبوة حينما أسلم وحسن إسلامه وجاهد مع المسلمين فى القادسية وهو يشجع المسلمين على عبور النهر لملاقاة العدو ولكنهم لا يرون رأيه فيقول: أيها السملمون ألا تؤمنون أن الله معنا، فيجيبونه: بلى، فيرد عليهم: فما من شئ فى الأرض يقف دوننا أبدا ولا من قوة تحول دون ما نريد، لقد كنت فى جموع كبيرة يوم الردة فرأيتنى ضعيفا أمام القلة من المسلمين حتى هربت بحليلتى على فرسى.

وإنى والله لألقى اليوم أضعاف ذلك العدد فلا يخالطنى روع، وما عقدت عزمى على شئ مهما صعب إلا ذل وتحقق بعون الله وتأييده، وقد تعلمون أن جلكم يفضلنى بإيمانه وسابقته فتوكلوا على الله أيها المسلمون فوالله إن الذى أجرى هذا البحر لقادر أن يسبحكم فيه[3].

---

(١) باكثير: الملحمة الإسلامية- أبطال القادسية- المشهد السابع.

(٢) باكثير: الملحمة الإسلامية- مقاليد بيت المقدس- المشهد السادس.

(٣) باكثير: الملحمة الإسلامية- صلاة في الإيوان- المشهد الرابع.

وتتكرر فى الملحمة صورة تفانى أتباع الإسلام فيه، وعدم إذعانهم إلا له فكأنهم فى بطولاتهم لا يستقونها إلا من الإسلام ولا يستمدونها من غيره ويدور الحوار بين بطلين من كبار أبطال المسلمين يؤكد إخلاصهم ووفاءهم لداعى السماء الجديد، وما هو عمر يريد أن يولى خالدا على قنسرين بشرط ألا يعطى أحدا من مال الله إلا بأمره فيجيبه خالد: لا والله لا أقبل.. لقد أبيت مثل هذا من أبى بكر فكيف أقبله منك، لا حاجة بى إلى عملك.. والله يا عمر لو كنا نعمل من أجلك ما عملنا شيئا، ولكنا نعمل لله عزوجل... إن الله ربى كما هو ربك وإنى لأخشاه كماتخشاه أنت، أم تظن يا عمر أنك وحدك تخشاه، ويرد عمر فى رفق: معاذ الله يا أبا سليمان ولكنى أريد منك أن تعيننى على نفسك وأن تظن بى خيرا مهما يسوؤك منى من شئ[1].

ثم المسلمون يعيشون فى حماية ربهم الذى أنزل الإسلام وأمرهم باتباعه مما جعل عمر يقول: إنما حصن المسلمين بالشام أن يتمسك ولاتهم فيها بالعروة الوثقى فيكونوا قدوة حسنة للمسلمين وغير المسلمين بذلك وحده نكون لأهلها أفضل من الروم وإلا فلم ينصرنا الله على الروم إن كنا مثل الروم أو شرا من الروم[2].

والإسلام لا تقف بطولاته عند الحرب وفتح البلدان فقط بل له قدرات كثيرة منها دمجه الأمم المختلفة فى الطبائع، المتفاوتة فى المدارك، ذات النفوس المتعارضة على أن يجعلها جميعا شيئا واحدا مترابطا متناسقا، يدينون بدين واحد، تسود بينهم المحبة، ديدنهم التكافل، وغايتهم التوحد، يتسابقون نحو طريق الله رب العالمين، فهذا (رومانوس) الذى كان روميا ثم

---

(١) باكثير: الملحمة الإسلامية- مقاليد بيت المقدس- المشهد السادس.

(٢) باكثير: الملحمة الإسلامية- عمر وخالد- المشهد الرابع.

أسلم وصار مجاهدا ضمن المسلمين وهو مع الجيش الذى فتح مصر يقول لمن حوله: والذى نفسى بيده إنى لأقولها مخلصا من صميم قلبى تلك إرادة الله إذ هيأنا لفتح العالم ووعدنا أن يظهر دينه على الدين كله، أن ينشئ من مختلف شعوب الأرض على اختلاف ألوانها وألسنتها أمة جديدة هى أمة الإسلام خير أمة أخرجت للناس[1].

ومما هو جدير بالذكر أن صور العقيدة الإسلامية يتضح من خلالها كل الرؤى الإسلامية، فلولاها لما انقاد المسلمون ذلك الانقياد التام للإسلام. ومن وضوح العقيدة وهى تطلعنا على أنماط متعددة من صور البطولة الإسلامية ما ورد فى الملحمة مسرحية (مكيدة من هرقل) المشهد الثالث ففى هذا المشهد يتضح حب عمر بن الخطاب لآل بيت النبوة المتمثلين فى أبناء على بن أبى طالب ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمهم فاطمة الزهراء. لقد تزوج عمر من أم كلثوم بنت على وفاطمة وهو فى ذلك الوقت كهل أما هى فشابة يافعة ويجهر عمر بسبب زواجه من أم كلثوم: تزوجتها لأمت بسبب إلى النبى صلى الله عليه وسلم منذ سمعته يقول: (كل حسب ونسب منقطع يوم القيامة إلا حسبى ونسبى) ولكنه سن لنا هديا فنحن نسير جهدنا عليه ووالله لا يحب رسول الله من لا يتبع هديه إبداً **(قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم)**[2].

وهذا الزواج خير دليل على تقدير على بن أبى طالب لعمر، وهو يدفع أكاذيب المضللين الذين يزعمون أن على بن أبى طالب لم يكن يحب عمر وأن

---

(١) باكثير: الملحمة الإسلامية- سر المقوقس- المشهد السابع.

(٢) باكثير: الملحمة الإسلامية- مكيد من هرقل- المشهد الثالث.

عمر سلبه حقه فى الخلافة التى أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى ثم سلبها منه عمر إذ لا يمكن أن يعيش عمر جاهداً نفسه ليتبع الإسلام ثم يخالفه فى أهم شئ وهو استلابه حق غيره، كما أن عليا فى شجاعته وجرأته وقوته ما كان يقبل أن يزوج ابنته من رجل يرى فيه أنه خالف أمر الإسلام واغتصب حق غيره. ولقد وفق باكثير فى عرض هذا الأمر بصورة غير مباشرة، الأمر الذى كان سببا فى تفريق الأمة وانقسامها إلى سنة وشيعة مع أن هذا الزواج وحده كاف لأن يخرس ألسنة الذين يتقولون على الصحابة وينسبون لهم أشياء لم تحدث قاصدين من وراء ذلك إلى كسر شوكة الإسلام وتمزيق وحدته بتفريق المسلمين وهذه اللمحة من باكثير حينما يوردها فى الملحمة يهدف بلا شك إلى توضيح هذا الأمر دون تدخل منه بتفسير أو تعليق بل نراه كما فعل فى المسرحيات كلها يجرى الحوار فقط والقارئ يصل إلى النتيجة من خلال عرضه صورة من المشهد.

ومن اكتمال الصورة تفضيل عمر للحسين بن على على ابنه عبد الله ومن الأفضل أن ننقل من المسرحية ذلك الحوار:

(يسمع قرع على الباب ثم يدخل أسلم مولى عمر)

أسلم: معذرة يا أمير المؤمنين، عبد الله بن عمر بالباب.

عمر: قل له عد بعد العصر.

(يخرج أسلم ثم يعود فى الحال)

عمر: ما خطبك يا أسلم.

أسلم: الحسين بن على يا أمير المؤمنين.

عمر: ائذن له ويلك.. قل له يدخل.

(يخرج أسلم ثم يعود فى الحال)

أسلم: وجدته قد انصرف يا أمير المؤمنين.

عمر: انطلق وراءه حتى تجده فتجئ به.

(يخرج أسلم منطلقا)

أسلم: (يظهر على الباب) الحسين بن على يا أمير المؤمنين.

عمر: أهلا بالحسين وسهلا.

الحسين: (يدخل) السلام عليك يا أمير المؤمنين.

عمر: وعليك السلام ورحمة الله.. لم يا حسين حضرت إلى بابى ثم مضيت؟ هل صرفك أسلم من قبل أن يخبرنى؟ ويل له إن فعل.

الحسين: لا يا أمير المؤمنين ولكنى رأيت عبد الله بن عمر لم يؤذن له عليك، فانصرفت عمر: وأنت عندى مثل عبد الله بن عمر؟ أنت عندي مثله؟ ويحك يا ابن رسول الله وهل أنبت الشعر على الرأس غيركم(١).

موقف مثل هذا حينما يورده باكثير ضمن الملحمة بلا شك يقصد به نفى الأكاذيب التى يهرف بها أعداء الإسلام وتدمغ أى حجة تدعي باطلا أن عمر اغتصب حقا بل هو أول من يقدر ويعتز بأبناء على وفاطمة بل وبأبيهما من قبلهما ومما يزيد الأمر وضوحا قصة العقد الذى بعثت به زوج ملك الروم حينما أرسل عمر بن الخطاب رسوله إليه ويعثت أم كلثوم بنت على لزوج هرقل هدية عبارة عن سفط مصنوع من سعف النخيل لتضع فيه حليها وعلى الرغم من بساطة الهدية بالنسبة لزوج هرقل إلا أنها أعجبت بها لما علمت أنها وهى زوج عمر وجدها النبى محمد تعيش عيشة بسيطة وربما

---

(١) باكثير: الملحمة الإسلامية- مكيدة من هرقل- المشهد الثاني.

هذه الهدية هى أقصى ما تملك فأرادت زوج هرقل أن ترد الهدية فبعثت لها بحبات من اللؤلؤ وخيط من الحرير لتنظمه أم كلثوم عقدا لها[1].

وحينما تصل الهدية إلى أم كلثوم تنظمه عاتكة زوج عمر قبل أم كلثوم وتفرح به وتشجع أم كلثوم على لبسه وتنصحها بألا تفرط فيه، لكن وجه عمر قد تغير لما علم بأمر العقد من الرسول الذى جاءه من هرقل وأراد أن يضم العقد إلى بيت مال المسلمين ويدور حوار بين عمر وعاتكة وأم كلثوم فى أن العقد من حق التى أرسلته زوج هرقل لها ويشغل كبار المسلمين بأمر العقد ويرون أن التى أهدى إليها أحق به من بيت المال وتستعين أم كلثوم بأخيها الحسين لما له من دالة على عمر فيكون رأيه مع رأى باقى الصحابة الذين استشارهم عمر وهو أن يبقى العقد لصاحبته وما أجمل الحوار الذى جمعه باكثير من كتب التاريخ...

الحسين: مازلت يا أمير المؤمنين على رأيك الأول فى العقد.

عمر: نعم إن فى نفسى منه شيئا وقد رجوت أختك أن تنزل عنه لبيت المال إذا شاءت ولكنها سكتت ولم تجب.

الحسين: هل لى يا أمير المؤمنين أن أكون حكما بينكما؟

عمر: فماذا عندك؟

الحسين: ترضانى حكما؟

عمر: فى كل شئ يا ريحانة رسول الله إلا فى هذا.

الحسين: لم يا أمير المؤمنين؟

عمر: إذا رددت حكمك غضبت منى، وإن قبلته غضبت منك أختك، وأنا أشفق على نفسى من الأول وأشفق عليكما من الثانى.

الحسين: أليس لى يا أمير المؤمنين أن أفاتحك فى هذا الأمر؟

(١) باكثير: الملحمة الإسلامية- مكيدة من هرقل- المشهد الثاني.

عمر: بلى، ولكنى لا أجعلك حكما فيه.

الحسين: ألا يسعك يا أمير المؤمنين ما وسع المسلمين جميعا إذ استشرتهم فأشاروا عليك بدفع العقد لأم كلثوم؟

عمر: يا ابن رسول الله إنهم لن يغنوا عنا غدا من الله شيئا، إن الرسول رسول الملسمين والبريد بريدهم.

الحسين: يا أمير المؤمنين إن هذا الرسول لم تزد نفقته على المسلمين شيئا من جراء الهدية التى حملها معه إلى ملكة الروم ولا الهدية التى جاء بها لأم كلثوم.

عمر: خبرنى، هل لأحد من المسلمين أن يكلف هذا الرسول بتجارة يجلبها له من أرض الروم.

الحسين: اللهم لا، ولكن هذه ليست تجارة، هذه هدية.

عمر: ألم تأت هذه الهدية بربح كربح التجارة أو أكبر؟

الحسين: حاشا لأم كلثوم أن تكون قد قصدت ذلك.

عمر: يا ابن رسول الله لا تنسى أنى أمير المؤمنين وأنها امرأتى ولا والله لا أكون مثلا سيئا لولاة الأمور بعدى فيسخر أحدهم مصالح المسلمين لقضاء حاجاته ويقول إنى ما رزأت المسلمين شيئا فلا جناح على.

الحسين: ما بالك صامته يا أم كلثوم ألا تقولين شيئاً؟

أم كلثوم: ماذا أقول يا حسين؟

عمر: الحمد لله.

الحسين: علام يا أمير المؤمنين حمدت الله؟

عمر: على أن تكلمت أختك، لقد ظلت صامتة منذ أمس.

أم كلثوم: إنما كلمت أخى.

عمر: بحسبى أنك كلمته بمحضرى ولأى بلأى ترضين عن بعلك وتكلمينه.

أم كلثوم: هيهات.

الحسين: كلا يا أم كلثوم لا ينبغى أن تغضبى من أمير المؤمنين فإنه لا يبغى لك إلا الخير.

أم كلثوم: ما أسرع ما ملت معه يا حسين.

الحسين: ها قد مسنى غضبها يا أمير المؤمنين.

عمر: ألم أقل لك؟

[ثم لا يجد عمر بدا من الاستعانة بعلى والد أم كلثوم ليقول كلمته ولسوف يعمل برأيه]

على: لعلك تريدنى يا أمير المؤمنين من أجل مسألة العقد.

عمر: هل علمت يا أبا الحسن بقصته؟

على: إى والله وبما قضى المسلمون إذ استشرتهم فى أمره، أين هو العقد يا أم كلثوم، أرينى إياه.

أم كلثوم: (تحضر العقد لأبيها) ها هو ذا يا أبى.

على: حبالة من حبائل الشيطان.. هذا يا بنية لا يصلح لآل محمد ولا لآل عمر إنما يصلح لآل كسرى وآل قيصر.. يا بنيتى إن المسلمين قد طابت أنفسهم لك بالعقد.. ولكنى لم تطب نفسي (بك له)[1] وأحسب زوجك أمير المؤمنين على مثل رأيى.. إنك لست كأحد من النساء، فأنت ابنة فاطمة، وزوج عمر أمير المؤمنين. وإن خيرا لك أن يقال إن زوجها ظلمها من أجل المسلمين من أن يقال إن زوجها ظلم المسلمين من أجلها. والأمر إليك فانظرى ماذا تختارين؟ الله والدار الآخرة يا أم كلثوم.. أم العقد، عقد ملكة الروم؟

---

(١) هكذا وردت في الأصل (مكيدة هرتل- المشهد الثالث ص٤٩) ولعل الصواب: لم تطب نفسي لك به.

أم كلثوم: بل اختار الله والدار الآخرة يا أبتاه.. خذه يا أمير المؤمنين لبيت المال.. فإن كان له فقد رددته وإن كان لى فهو منى صدقة.

على: بوركت يا بنيتى بوركت.

عمر: بخ بخ.. ذرية بعضها من بعض(١).

وهكذا تكون العقيدة التى أتى بها الإسلام وتكون لهذا الدين قوة شخصيته التى تجلت للمسلمين وكأنها ذات بطولية تسيطر عيل القلوب فتتبعها جماهير المؤمنين راضية مطمئنة سعيدة ببطلها مزهوة به.

الحاكم المسلم:

ثم هناك الصورة البطولية للحاكم المسلم متمثلة فى عمر بن الخطاب وغيره من الصحابة الذين كانوا تحت إمرة عمر قواداً وحكاماً فالإسلام لابد أن يقوم به حاكم يشرف على تنفيذ المسلمين لضوابطه وقوانينه وتتجلى صورة هذا الحاكم المسلم فى المبادئ التى سينطلق منها، والصفات التى يجب أن يكون متحلياً بها ومن هنا كان اختيار أبى بكر لعمر فقد أطلعتنا الملحمة على الحوار الذى جرى بينهما، ثم بين أبى بكر والصحابة الكبار من أهل الرأى (أهل الحل العقد) الذين لهم فضل السبق إلى الإسلام ثم لهم قدم راسخة فيه أوذوا فى سبيل الإسلام، وهاجروا من أجله، وجاهدوا فى سبيله، وتحملوا المشاق والصعاب لنشر كلمته وإعلاء صوته، ثم هم أصحاب عقل راجح، ورأى نافذ، وخبرة بأمور السياسة، وتمرس بشؤون الحرب.

وها هو جانب من الحوار.

أبو بكر: أردت أن أستخلفك يا عمر.

عمر: لا تفعل يا أبا بكر.. لا حاجة لى فيها.

---

(١) باكثير: الملحمة الإسلامية- مكيدة من هرقل- المشهد الثالث.

[ويستمر الحوار بينهما فيذكر عمر أبا بكر بأنه طالما خالفه الرأى وكأنه يبث فى خلده أنه لا يصلح للخلافة فقد خالفه فى تفسيم الفيء وفى حروب الردة فيجيبه أبو بكر بالدليل].

أبو بكر: هون عليك يا أبا حفص إن كنت أخطأت فى رأيك هذا فإنه لا يعدو شيئا مذكوراً فى جنب موافقاتك العديدة أنشدك الله يا عمر ألم تقل لرسول الله صلى الله عليه وسلم على أشياء فلم يلبث أن نزل بها الوحى موافقاً لما ارتأيت؟ ألم تقترح عليه صلى الله عليه وسلم أن يتخذ مقام إبراهيم مصلى فأنزل الله تعالى (**واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى**)... ألم تقل يا عمر: اللهم بين لنا فى الخمر فإنها تذهب المال والعقل. فما لبثت أن نزلت آيات تحريم الخمر.. ألم تعترض على النبى صلى الله عليه وسلم فى صلاته على المنافق عبدالله بن أبى فما كان إلا يسيرا حتى نزلت (**ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره**).. أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (قد كان فيمن قبلكم ملهمون أو محدثون فإن يكن فى أمتى منهم أحد فعمر).

[ويستمر الجدال بينهما وعمر يحاول التخلص من عبء الخلافة فتكون حجة أبى بكر أن الإسلام كما أنه يرفض المتهالك على الحكم وليس أهلا له فهو أيضا يرغم من هو أهل للحكم على قبوله من أجل المصلحة العامة].

أبو بكر: إن هذا الأمر ليهلك فيه اثنان يا عمر: رجل يطمع فى الخلافة وهو يعلم أن غيره أحق بها وأقدر عليها منه، ورجل يأباها إذا عرضت عليه وهو يعلم أنه أصلح الناس لها وأقدرهم عليها، تهرباً من حمل التبعة وضنا بكفايته أن يبذلها فى خدمة الناس.

[ويستمر عمر محاولة رفض الخلافة فيجيبه أبو بكر]

أبو بكر: يا عمر يا ابن أم عمر، ما هكذا يتقى الله حق تقاته. ألم تر يا عمر أنما أنزلت آية الرخاء مع آية الشدة، وآية الشدة مع آية الرخاء ليكون المؤمن راغبا راهبا، لا يرغب رغبة يتمنى فيها على الله ما ليس له، ولا يرهب رهبة يلقى فيها بيديه؟ أما أنه لو ترك كل ذى واجب واجبه من خشية الله لانقلبت خشية الله إلى سوء ظن به، وإذن لفسد الأمر وضاعت حقوق المستضعفين وصار الناس فوضى يضرب بعضهم رقاب بعض(١).

[ثم طلب أبو بكر كبار الصحابة ليستشيرهم فى أمر تولية عمر من بعده فجاءه عثمان بن عفان، وعلى بن أبى طالب، وعبد الرحمن بن عوف، وسعيد بن زيد، وأسيد بن حضير، وطلحة بن عبيد الله، وصار يسأل كلا منهم عن رأيه فى عمر لأنه يريد أن يستخلفه فأثنى عليه جميعهم خيراً إلا طلحة بن عبيد الله رأى فيه غلظة يخشى على المسلمين منها فأجابه].

أبو بكر: إن غلظته لأنه يرانى رقيقاً ولو أفضى الأمر إليه لترك كثيراً مما هو عليه.

طلحة: أتؤمن أنت أنه سيكون رفيقاً إذا أفضى الأمر إليه؟

أبو بكر: إى والله يا أبا محمد لقد رمقته فرأيته إذا غضبت على الرجل فى الشئ أرانى الرضا عنه، وإذا لنت أرانى الشدة عليه.

طلحة: إذن فتوكل على الله واستخلفه، فوالله ليس فينا من هو أقوى على هذا الأمر منه(٢).

[وتتوالى آراء الصحابة فى عمر وكلهم يؤيد استخلاف أبى بكر له ويثنى عليه خيرا حتى يأتى رأي على بن أبى طلب فيقول بعد أن سأله أبو بكر عن رأيه].

---

(١) باكثير: الملحمة الإسلامية- على أسوار دمشق- المشهد الأول من المقدمة.

(٢) باكثير: الملحمة الإسلامية- على أسوار دمشق- المشهد الثاني من المقدمة.

على: يا خليفة رسول الله ماذا أقول فى رجل اعتز الإسلام بإسلامه ما لم يعتز بإسلام أحد سواه، وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيه: (إن الله قد جعل الحق على لسان عمر وقلبه).

[وهكذا كان الإسلام هو الذى أملى اختيار عمر ولم يخرج عن ذلك أحد حتى على بن أبي طالب وهذا يدحض حجة الشيعة إذ لو كان الرسول صلى الله عليه وسلم أوصى بالخلافة لعلى كما يدعون لما رضى على بتولية أحد سواه ولما قال فى عمر ما قال][1].

تجليات البطولة الإسلامية:

تتجلى بطولة الإسلام فى صورة الحاكم المسلم من خلال عدل عمر، وزهده، وورعه، وتقواه، وحكمته، ورفقه بالناس، ويقظته مع الولاة، وعدم تسلطه، واستشارته الصحابة.

ثم تتوالى بعد ذلك المشاهد التى تؤكد موالاة عمر للإسلام، وإخلاصه، وعمله على تنفيذ كل صغيرة وكبيرة أمر بها الإسلام، وتجرده تجرداً تاماً من هوى نفسه، وإحساسه بحمل المسؤولية الملقاة على عاتقه، وإلزامه نفسه أولاً باتباع أوامر الله، وزهده فى كل ما أفاء الله به على المسلمين، ومحاسبته نفسه بدقة، ويقظته مع الولاة، ومحاسبتهم محاسبة شديدة، وعدله بين المسلمين وأهل الذمة، ومواصلته الجهاد الإسلامى.

وذلك فى صورة الحوار المسرحى الممتع الذى يبث فى نفوس القراء مدى سيطرة الإسلام على نفوس معتنقيه ودورانهم حول قطبه وإرجاعهم كل شئ إلى سلطته وسلطانه.

---

(١) المرجع السابق.

الإسلام يجعل عمر لا يولي إلا من يخلص النية لله:

للإسلام في نفس عمر رهبة جعلته لا يولى إلا من يراه مخلصا النية لله وليس له غاية إلا هذا الدين، لذلك كان أبو بكر قد جعل المثنى بن حارثة أميراً فلما تولى الأمر عمر عزله وولى مكانه (أبو عبيد الثقفى) فذهب المثنى إلى المدينة للقائه فبادره عمر كما حكى المثنى لامرأته.

المثنى: ما كدت أمثل بين يديه ويخلو بى حتى شعرت يا بنت أبى خصفة كأنما كان هذا الرجل ينظر إلى ما يهجس بخاطرى، إذ ابتدرنى قائلا: يا أخا شيبان لعلك تريد أن تلومنى إذ وليت رجلا آخر مكانك؟ قلت نعم؟ قال: أتجاهد فى سبيل الله يا ابن حارثة أم فى سبيل ابن وائل؟ قلت: بلى فى سبيل الله. قال: فلا ضير إذن أن يرأسك أبوعبيد وتكون له أنت الناصح والمشير.

سلمى: (زوج المثنى) مالى ولعمر بن الخطاب.

المثنى: إنه يا سلمى لا يقبل من أحد إلا النية الخالصة لله سبحانه.

لقد تفرس فى يوم جئته فعلم ما كان يجول فى نفسى من فخر القبيلة وشهوة الغلبة على فارس تتمة لما غلبناها فى يوم ذى قار، فقال لى ما قال. ما أشك اليوم أنه ما عزلنى إلا لذلك(١).

صورة من الولاة الذين ولاهم عمر:

ثم كان الولاة الذين ولاهم عمر صورة حقيقية من الإسلام فى تأثيره الشديد فى نفوس معتنقيه ليحاسبوا أنفسهم محاسبة شديدة وليجتهدوا ما أمكنهم فى النجاة بأنفسهم من المسئولية أمام الإسلام وها هو حوار يجرى

---

(١) باكثير: الملحمة الإسلامية -معركة الجسر- المشهد الأول.

بين أبى عبيدة (أمين هذه الأمة) كما سماه الرسول صلى الله عليه وسلم وبين زوجه هند التى ترى نفسها فى ملابس لا تليق بزوج الأمير وهذا بعض من الحوار الذى دار بينهما.

. . .

هند: لا أريد أن أغضبك يا صاحب رسول الله.

أبو عبيدة: مازال فى نفسك من هذه الثياب التى عليك.

هند: (تتنهد) يا أبا عبيدة لو كان يسترنى كنى ما باليت أى ثوب أرتديه ولكنى كما ترى بين هذه النسوة وليس فيهن امرأة واحدة لا تلبس خيرا مما ألبس فإلام أبقى فى أثمالى هذه التى قدمت بها من الحجاز.

أبو عبيدة: ويحك هذه بردة من صنع اليمن وإنها لأفضل عندى من حبر الشام.

هند: يا أبا عبيدة إنى لأستحى منها وأنا زوج أمير القوم.

أبو عبيدة: لو لم أكن أميراً عليهم لكنت أحرى أن أجيبك إلى ما تطلبين أما وأنا الأمير فعلى يا هند حساب عسير يوم يقوم الناس لرب العالمين فذرينا يا هند مخفين كما نحن فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (فاز المخفون)[1].

وتتألق صورة الولاة فى الإسلام الذين يسيرون على هديه وهم صورة من عمر بن الخطاب حينما يرى المسلمون الانسحاب من الشام لخطة حربية فيعيدون المال الذى أخذوه من أهلها إليهم لأنهم طالما سيخرجون لن يتمكنوا من حمايتهم فإن عادوا إليهم فسيأخذونه منهم فى اتفاق جديد ولكن أهل دمشق يريدون إبقاء المال مع المسلمين ليشجعوهم بذلك على العودة إليهم وحمايتهم من الروم ثم يكون هذا الحوار مع أبى عبيدة ومندوب أهل دمشق (مرقص).

---

(١) باكثير: الملحمة الإسلامية- أبطال اليرموك- المشهد الثاني.

مرقص: لا تعيدوا إلينا مال الجزية والخراج.

أبو عبيدة: نحن لا نأكل أموال الناس بالباطل.

مرقص: هذا مال قد خرج من أيدينا فاحسبوه لنا لعام قابل.

أبو عبيدة: ليس لنا أن نأخذ منكم شيئا قبل حلول ميقاته.

مرقص: إذن فقد طابت أنفسنا لكم به.

أبو عبيدة: نحن لا نقبل صدقة.

مرقص: فهي هدية.

أبو عبيدة: الهدية من الرعية رشوة.

أبو عبيدة: اعلموا يا أهل دمشق أننا لا نعاملكم أنتم وإنما نعامل الله عزوجل وهو يعلم السر وأخفى(١).

وهكذا توضح الملحمة مراعاة المسلمين- وبخاصة الولاة- للإسلام ومشيهم على نهجه وعدم خروجهم على أوامره.

محاسبة عمر لخالد:

ما إن بلغ عمر أن الأشعث بن قيس مدح خالد بن الوليد وهو أمير على (قنسرين) بالشام فأعطاه كل ما معه من مال جائزة له وهو عشرة آلاف درهم حتى جمع عمر الصحابة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستشيرهم فى أمر خالد.

عمر: يا أصحاب رسول الله ما ترون فى خالد بن الوليد فقد جعل نفسه ملكا فى الشام كملوك غسان فى الجاهلية ينتجعه الشعراء من الآفاق.. وقد جاءنى أنه أعطى الأشعث بن قيس الكندى عشرة آلاف درهم على

(١) باكثير: الملحمة الإسلامية- كسري وقيصر- المشهد الخامس.

قصيدة مدحه بها وكان رأى الصحابة أن يأخذ منه مقدار ما أعطى فيرده لبيت المال إن كان قد أخذ من مال المسلمين أما إن كان قد أعطى من ماله فلا بأس إلا أن عمر يجادلهم فى أنه يعزله فيقول الزبير.

الزبير: رويدك يا أمير المؤمنين... تذكر أن خالد بن الوليد هو الذى فتح الله الشام على يديه وهو الذى جعل هرقل يهرب منها آيسا من الرجوع إليها إلى الأبد... أفلا يشفع بعض هذا لخالد.

عمر: ويحك يا ابن العوام أتنصحنى بمداهنته فى الحق.

الزبير: معاذ الله يا أمير المؤمنين ولكن أبا سليمان ينبغى أن يبقى فى عمله حصنا قويا للمسلمين فى الشام.

عمر: إنما حصن المسلمين فى الشام أن يتمسك ولاتهم فيها بالعروة الوثقى فيكونوا قدوة حسنة للمسلمين وغير المسلمين بذلك وحده نكون لأهلها أفضل من الروم.. وإلا فلم ينصرنا الله على الروم إذا كنا مثل الروم أو شرا من الروم.

طلحة: لكن يا خالد يا أمير المؤمنين لم يأت أمرا إدا ولم يؤذ أهل الشام فى شئ.

عمر: بلى يا أبا محمد.. أليس فيهم من مسلمين وذميين من هم أحوج إلى ذلك المال وأحق به من ذلك الملك الكندى المتسول.

طلحة: ما أحسب يا أمير المؤمنين أن خالد هو الذى دعا الأشعث إلى انتجاعه.

عمر: ما كان الأشعث ينتجعه من العراق لو لم يبلغه أن خالد كان يسير سيرة الملوك حين كان يدرب فى أرض الروم... وإلا فهذا سعد بن مالك قد فتح الله على يديه أبيض كسرى فعلام لم يمدحه الأشعث وهو معه ولم تتوافد عليه الشعراء من الآفاق.

عثمان: إنى بعد لا أرى أن تعزله يا أمير المؤمنين فلم يرتكب ما يستوجب ذلك.

على: وأنا لا أرى عزله إلا إذا ثبت أنه أعطى من مال الله لمن يمدحه من الشعراء.

عمر: يا أبا الحسن أليس على الوالى أن يكون قدوة حسنة لرعيته ولمن يأتى بعده من الولاة.

على: بلى يا أمير المؤمنين.

عمر: فأى قدوة يكون خالد للولاة بعده.. والله ليحملن التيجان على رؤوسهم، وليجلسن على كراسى الذهب وليكونن الشعراء المتسولون المتملقون أحب إلى نفوسهم وأقرب إلى أموالهم من الفقراء والمساكين والضعفة المحتاجين.

[وتستمر المشورة ويطول الأخذ والرد بشأن خالد].

على: فالرفق يا أمير المؤمنين أحرى بك وأكرم لأبى سليمان.

عمر: يا قوم إنى أريد أن يتسامع المسلمون فى كل مكان أن ابن الوليد الذى خضد شوكة الردة ودوخ الفرس وأذهب الله به وساوس الشيطان عن الروم لم يعصمه فعاله من العزل فعزل لأنه أعطى الأشعث بن قيس عشرة آلاف درهم لغير ما شئ إلا أنه قدم عليه فمدحه.. فإن كان من ماله فقد أسرف وإن كان من إصابة أصابها فقد خان.. ألا إننا لا نريدها كسروية، ولا قيصرية، ولا عربية جاهلية. ألا إنه الحق فيا ويح عمر إن عدل بالحق عن وجهه وعمر على المسلمين.

[وانتهى المجلس وانفض وقد اتخذ عمر القرار بعزل خالد ليكون عبرة للولاة المسلمين فى زمنه ومن بعده][1].

---

(١) باكثير: الملحمة الإسلامية- عمر وخالد- المشهد الرابع.

عمر يضع القواعد للولاة:

[ويستمر مسلسل عمر مع الولاة فى محاسبتهم والتشدد معهم وها هو يرسل محمد ابن مسلمة إلى ولاته وعماله طالباً حضورهم ليحاسبهم وليقاسمهم أموالهم بعدما وصله ما قاله ابن الصعق فى ولاة المسلمين وما آلت إليه أحوالهم من اليسر والغنى]:

ولا تدعـوني للشـهـادة إنني
أغـيب ولكنني أرى عـجب الدهر
نئـوب إذا آبوا ونغـزوا إذا غـزوا
وإن لهم وفـرا ولسنا ذوي وفـر
إذا التـاجـر الهندي جـاء بفـأرة
من المسك راحت في مفارقهم تجري

[ويرى الولاة أن يزيد بن الصعق هذا إن كان صادقاً فإنما يؤاخذ العامل الذى هو يتبعه ولا يؤخذ الجميع ولكن عمر يرى أن الرجل ليس بخصم لأحد منهم ولكنه يبين حالهم حتى ينتبه إليهم ويحتج أبو بكرة بأن الشاعر قد ذكره فيمن ذكر وهو ليس من الولاة فيجيبه عمر إن أخاك على بيت المال وهو يعطيك مالا لتتجر بهَ ثم ترده لبيت المال ويدافع بشر عن نفسه أمام عمر بأن العجم أرادوا أن يهدوا إليه فاستشار عمر فمنعه فاستجاب فيجيبه.

عمر: فمن أين إذن فشت لك هذه الفاشية من المال؟

بشر: يا أمير المؤمنين إنها أرض متجر، ينمو فيها المال نمواً وأنت قاعد.

عمر: وأنت قاعد تسخر منصبك ومكانك ووقتك وعقلك فى تنمية مالك.

. . .

[يندخل عمرو بن العاص مدافعاً باعتباره أحد الولاة]

عمرو: ألا يسرك يا أمير المؤمنين أن يكون ولاتك فى حال حسنة؟

عمر: هيه يا ابن العاص تريد دائماً أن تجعل الولاة على منوالك؟ ويلك إنى لا أوليهم لتتحسن أحوالهم بل لتتحسن أحوال الناس بهم.

عمرو: يوشك يا أمير المؤمنين إن بقيت تغرى الناس بولاتك أن تسقط هيبتهم فى صدور الناس فلا يسمع لقولهم أحد.

عمر: إنى أريد الناس أن يحبوهم لا أن يخافوهم وما أرسلتهم ليضربوا أبشار الناس أو يجلدوا ظهورهم بل ليخدموهم ويعلموهم ويرشدوهم(١).

ثم كان ما كان من أمر محمد بن عمرو بن العاص حينما ضرب داود القبطى لأنه سبقه حينما تسابقا ولما شكا القبطى لعمر استدعى عمروا وابنه محمدا ولما اعترف بما كان منه أعطى عمر الدرة للقبطى وقال له اضرب ابن الأكرمين فضربه القبطى ثم كف وقال:

داود: يا أمير المومنين قد استوفيت واشتفيت.

عمر: أجلها الآن على صلعة عمرو [أى اضرب عمروا على رأسه].

عمرو: يا أمير المؤمنين ما ذنبى؟

عمر: ما ذنبك؟ هل جرؤ ابنك على ضرب هذا الفتى إلا بسلطانك؟ امتثل.

عمرو: امتثلت يا أمير المؤمنين.

عمر: أجلها يا داود على صلعته.

(١) باكثير: الملحمة الإسلامية- القوي الأمين- المشهد العاشر.

داود: يا أمير المؤمنين قد ضربت من ضربنى وحسبى ذلك.

عمر: إنك والله لو ضربته ما حلنا بينك وبينه حتى تكون أنت الذى تدعه.

داود: يا أمير المؤمنين قد استوفيت واشتفيت.

عمر: أيا عمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهم أحراراً. اصرف ابنك هذا عنى ثم عد إلى.

[ثم صرف عمرو ابنه وعاد إلى عمر ليتشاور معه فى أمور مصر[١]. ومنها حفر الخليج بالقرب من الفسطاط حتى السويس ويستشير عمر أهل مصر من القبط فى حفر الخليج].

[ثم تتوالى صورة عمر ويقظته من أجل شؤون رعيته حتى يأمر عمروا بأن يهدم التعلية التى بناها فوق داره حتى لا يطلع على عورات الناس وفى دار عمرو بن العاص يدور هذا الحوار بينه وبين بنيامين بطريق القبط].

عمرو: مرحباً بك فى دارنا أيها البطريق الصالح.

بنيامين: شكراً لك أيها الأمير. أين العلية التى استقبلتنى فيها إذ زرتك فى المرة الأولى؟

عمرو: تسألنى عنها ألم تعلم ماذا حل بها؟

بنيامين: ماذا حل بها؟

عمرو: أمرنى أمير المؤمنين بهدمها وإزالتها.

بنيامين: علام؟

عمرو: حتى لا أطلع على عورات جيرانى المسلمين.

بنيامين: وكيف علم أمير المؤمنين بذلك؟

عمرو: أمير المؤمنين لا تفوته فائتة[٢].

---

(١) باكثير: الملحمة الإسلامية- الولاة والرعية- المشهد الثالث.

(٢) باكثير: الملحمة الإسلامية- شطا وأرمانوسة- المشهد الرابع.

ثم كانت هناك الصورة المثلى للولاة فى عهد عمر كما فى سيرة سعيد بن عامر الذى ولاه عمر على حمص ثم أرسل عمر محمد بن مسلمة ليحقق فى الأمر وكانت شكوى الناس منه أربعة أشياء.

أولاً: أنه لا يخرج إليهم بالنهار.

ثانياً: أنه لا يجيب أحدا بليل.

ثالثاً: أنه يحتجب عنهم يوماً فى الشهر.

رابعاً: أنه يغشى عليه أحياناً.

وقد فند الدعاوى الأربع مجيباً:

أما كونه لا يخرج إليهم حتى يتعالى النهار فلأن امرأته ضعيفة لا تقوى على العمل وليس لها خادم فهو يساعدها فيعجن لها العجين ثم يجلس حتى يختمر فيخبزه لها ثم يتوضأ ويخرج إليهم وهو مع ذلك والله لم يغمط لهم حقاً ولم يقصر لهم فى واجب.

وأما كونه لا يجيب أحداً بليل فلأنه جعل النهار لهم والليل لله يتهجد له وهم ليسوا فى حاجة إله بالليل ولو ناداه أحدهم للباه وهو لا يسهر معهم لأنه ليس له فى مجالسهم من أرب.

وأما أنه يحتجب عنهم يوماً في الشهر فلأنه ليس له خادم يغسل ثيابه وليس له ثياب يبدلها فهو يغسل ثيابه وينتظر حتى تجف ثم يخرج إليهم من آخر النهار.

وأما كونه يغشى عليه أحياناً فلأنه حينما كان مشركاً شهد ما فعلته قريش فى خبيب الأنصارى حينما صلبوه وأخذوا يبضعون من لحمه ويقولون أتحب أن محمداً مكانك فيقول لهم: والله ما أحب أنى فى أهلى

وولدى وأن محمداً يشاك بشوكة ولما كان مشركاً آنذاك وحضر ما تم مع خبيب كلما ذكر ذلك الموقف يظن أن الله لن يغفر له لأنه ترك نصرته فيغشى عليه.

ثم يترك له محمد بن مسلمة كيساً من النقود ليصلح به أحواله فيأتى بالكيس لامرأته ويصارحها بأنه يخشى منها على هذه الدنانير فهو يريد أن يوزعها كلها على فقراء المسلمين من أهل حمص الذين شكوه لأمير المؤمنين لأن فقراء المسلمين يدخلون الجنة قبل أغنيائها بأربعين خريفاً وهو لا يحب أن تكون له حمر النعم ويحبس عن الفوج الأول فتقول له أنت فى حل من أن تفعل بها ما تشاء فيراجعها.. أعن طيب نفس منك؟ فتجيبه نعم فيقول أيتها الزوجة الصالحة والله ما أبالى من الدنيا شيئاً ما بقيت لى يا أم عامر[1].

على أن صورة ولاة عمر الصالحين والأسس التي وضعها لباقى الولاة ليسيروا على هديها قد ألزم عمر نفسه بها من قبل فكانت حياته صورة من الزهد والتقوى والتواضع والسهر على خدمة المسلمين والعمل على تحرى الدقة فى كل عمل يقدم عليه ورجوعه عن رأيه إن أرشده أحد إلى ذلك. وأحس أنه أفضل مما كان عليه. وها هو يخرج ليلاً والناس نيام ليعس بالمدينة عسى أن ينفس عن مكروب أو يمنع جارح ليل على حد تعبيره فتقول له زوجه عاتكة لا تخرج وحدك وخذ معك غلامك (يرفأ) فتدركه الشفقة على غلامه ويجيبها: يرفأ يصلى الساعة، ولا ينبغى أن أشغله عن صلاته وتهجده[2].

---

(١) باكثير: الملحمة الإسلامية-القوي الأمين- المشهد الخامس.

(٢) باكثير: الملحمة الإسلامية- تراب من أرض فارس- المشهد الأول.

وبعد خروجه يأتى مناد وينادى عليه فتجيبه عاتكة زوج عمر بأنه قد خرج وتطلب منه الدخول ثم تضع له الطعام وتخرج لتبحث عن أمير المؤمنين ويريد الطارق أن يذهب ليبحث بنفسه عنه فما ينبغى أن تخرج وحدها فى الليل ولكنها تقول له بل تناول أنت طعامك وسأحضره لأنى أعلم بمظانه منك ثم تعود ومعها عمر فيتوقف عن الطعام فيطلب منه عمر أن يتم طعامه وإلا فلن يسمع منه(١).

ثم يأتى عام الرمادة ويحرم عمر اللحم على أهل بيته حتى يأكله عامة المسلمين وكان لابنه عبيد الله نعجة اشتراها ليرضع منها وليداً له وكانت نفس عبيد الله تتوق اللحم فذبحوها وبينما امرأته تطهوها دخل عمر ومعه أهل الشورى من كبار الصحابة إلى بيت عبيد الله ليجلسوا فيه ويتباحثوا فى أمور الدولة فيخشى ابنه أن يشم أبوه رائحة اللحم فيغطى التنور ويشتم عمر رائحة الشواء فيأمر غلامه أسلم ليبحث عن مصدره ويتباحث أسلم مع أهل البيت ويستقر الرأى خوفاً من عمر أن يحملها أسلم إليه ويقول له: إن آل عبيد الله بن عمر كانت عندهم هذه النعجة لطفلهم الرضيع فجف درها فذبحوها وشووها فى التنور ليقدموها لأمير المؤمنين فيضعها حيث يحب ولكن عبيد الله يشتهى أن يأكل منها قطعة فيحذره أسلم من أن أمير المؤمنين سيعرف أنها ناقصة فيقول له ويلك يا أسلم احملها إليه احملها كلها إليه ولم يطلع أسلم عمر على الأمر لكنه يدرك أن أسلم يريد أن يخدعه لأن ابنه كان قد شواها لنفسه فيقول له عبيد الله:

عبيد الله: يا أبت قول الحق أحق.. إنى قرمت إلى اللحم فلم أطق صبراً فإنى لم أذقه منذ شهور.

---

(١) المرجع السابق.

عمر: ويلك يا أبا بطنه المسلمون هنا فى مجاعة- وإخواننا فى البصرة يحصدهم الطاعون حصداً وأنت لا هم لك إلا بطنك.

ثم يأمر عمر بإرسالها إلى بعض بيوت المسلمين وينظر لابنه فى رضى وإشفاق ويقول يا بنى غداً يرفع الله المحل فتأكل ما تشتهيه نفسك(١).

ولازلنا مع عمر فى عام الرمادة وهو العام الذى لم ينزل فيه المطر ولم ينبت الزرع فهلكت الماشية وسقط الناس من الجوع وحرم عمر على نفسه وأهله السمن واللبن حتى يكثر ويأكله الناس ولما بدأ الجدب يزول ونزل الغيث ووجدت فى السوق بوادر من اللبن والسمن اشترت عاتكة شيئاً منه وأرسلت إلى حفصة بنت عمر أم المؤمنين لتأكل معهم وكأنها تظن أن عمر سيتغاضى عن ذلك لوجود حفصة بينهم على الغذاء ويدور الحوار:

عمر: لا بأس يا بنية أن يجتمع شملنا اليوم على الغذاء فذلك مما يسر أباك ولكن فى نفسى شيئاً من وطب اللبن وعكة السمن فليت شعرى أكل الناس يجدون مثل هذاا فى السوق اليوم؟ من الذى ابتاعهما لك يا عاتكة؟

عاتكة: يسار يا أمير المؤمنين.

عمر: لعل الناس قالوا هذا غلام أمير المؤمنين فلندع له السمن واللبن.

عاتكة: كلا يا أمير المؤمنين لقد ابتاعهما بثمن غال.

. . .

عمر: بكم ابتعتهما يا يسار؟

يسار: بأربعين درهماً يا أمير المؤمنين.

عمر: لقد أغليت بهما كثيراً يا يسار.

---

(١) باكثير: الملحمة الإسلامية- عام الرمادة- المشهد الرابع.

يسار: كلا يا أمير المؤمنين هذا ثمنهما وأنه لرخيص لو شئت لبعتهما الآن بضعف هذا الثمن.

عمر: الآن حصحص الحق.. لا والله لا يكون بيت عمر أول بيت يذوق السمن واللبن فى المدينة ولا والله لا يأكل آل عمر إسرافاً وعمر على الناس.. اذهب بهما يا يسار فوزعها على بيوت بنى النجار فإن النبى صلى الله عليه وسلم كان يحبهم.

عاتكة: أفلا تكره لبنى النجار يا أمير المؤمنين أن يأكلوا إسرافاً؟

عمر: ويحك يا عاتكة ليس فى الصدقة إسراف إقرأى إن شئت قوله تعالى: **(لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون)**(١).

ويستمر مسلسل عمر وتشدده مع أهل بيته حتى يبلغه أن ابنه عبد الله عنده إبل سمان فيحضره ويناقشه:

عمر: بخ بخ يا آل عمر تريدون أن تأكلوا على ظهرى.

عبد الله: أى شئ أغضبك يا أمير المؤمنين.

عمر: تصلى يا عبد الله فى بيتك وإبلك السمان تتبختر فى السوق.

عبد الله: يا ويلتا ماذا فعل الغلام بها لقد أمرته أن يعرضها فى السوق للبيع وحرجت عليه أن يزحم بها الطريق على الناس.

عمر: فقد زحم بها الطريق على. أنى لك هذه الإبل السمان يا ابن عمر؟

عبد الله: إبل أنضاء هزيلة اشتريتها يا أمير المؤمنين وبعثت بها إلى الحمى أبتغى ما يبتغى المسلمون.

عمر: بخ بخ ابن أمير المؤمنين يرعى إبله فى الحمى يبتغى ما يبتغى غيره من المسلمين.

عبد الله: يا أمير المؤمنين ما كنت أعلم والله أن ذلك يغضبك لقد سمعتك

---

(١) باكثير: الملحمة الإسلامية- عام الرمادة- المشهد الخامس.

مقدمي من مصر تخطب الناس على المنبر وتحضهم على الاستكثار من شراء الأنعام وتربيتها ألا ينيخ بهم عام كعام الرمادة وسمعتك تقول لهم إنك أبحت لهم الحمى ليتسابقوا إلى ذلك فاشتريت أنا هذا الإبل بما غنمته من مصر.

عمر: يا ابن عمر إنى أبحت الحمى للمسلمين وما أبحته لابن عمر.

عبد الله: وهل ابن عمر يا أمير المؤمنين إلا رجل من المسلمين.

عمر: ليس فى مثل هذا ويلك.

عبد الله: إن يكن فى ذلك جناح فإنى أحب أن أعرفه.

عمر: جناح وأي جناح ألا تعرف يا عبد الله بن عمر.

عبد الله: فقهنى يا أمير المؤمنين.

عمر: ارعوا إبل ابن أمير المؤمنين! اسقوا إبل ابن أمير المؤمنين!

عبد الله: والله يا أمير المؤمنين ما قلت لهم شيئاً من ذلك.

عمر: لست أنت الذى تقول الذين فى الحمى هم الذين يقولون.

عبد الله: والله ما أمرت أحداً أن يقول ذلك.

عمر: إن لم تأمرهم بلسانك فقد أمرتهم بفعلك إذ سقت إلى الحمى إبلك.

عبد الله: يا أمير المؤمنين قد كان الذى كان وإنى لنادم وإنى لممتثل فاقض فيها ما أنت قاض.

عمر: يا عبد الله بن عمر خذ رأس مالك واجعل الربح فى بيت مال المسلمين.

عبد الله: وترضى عنى إن فعلت ذلك يا أمير المؤمنين ولا يبقى فى نفسك شئ.

عمر: يبقى فى نفسى الحب لك يا عبد الله والزهو بك الحمد لله الذى جعل فى بيت آل عمر مثلك (يترقرق الدمع فى عينيه).

عبد الله: (يبكى) والله لرضاك عنى ليعدل عندى الدنيا وما فيها.

عمر: فإنى غير راض عنك يا عبد الله.

عبد الله: فيم يا أبتاه.

عمر: حتى تعود وتلحق برفاقك المرابطين على أسوار الإسكندرية.

عبد الله: فإنى قد عزمت على ذلك قبل أن تكلمنى وهذا محمد بن مسلمة يشهد على ذلك.

ابن مسلمة: أجل يا أمير المؤمنين لقد قال لى إنه سيصحبنى فى قفولى إلى مصر(1).

ثم ما كان من أمر عمر مع ولديه عبد الله وعبيد الله حينما قدما من العراق وقد كانا مع الجيش وبعث أبو موسى الأشعرى معهما مالاً من الفئ ليضعه أمير المؤمنين فى موضعه ويدور الحوار:

عمر: أين المال الذى بعث به أبو موسى؟

عبيد الله: معنا يا أمير المؤمنين.

عمر: أين وضعتماه؟

عبد الله: لو أمهلتنا بضعة أيام فنؤديه لك.

عمر: ويلك فيم الإمهال؟

عبيد الله: ريثما نبيع البضاعة التى جئنا بها من العراق.

عمر: (مغاضباً) أو قد فعلها أبو موسى والله لأجعلنه نكالاً لمن بعده.

ابن عوف: أى شئ أغضبك يا أمير المؤمنين؟

عثمان: وأى شئ فعل أبو موسى؟

---

(1) باكثير: الملحمة الإسلامية- حديث الهرمزان- المشهد السابع.

عمر: إن هذين التاجرين ليعلمان ما فعل. ألا تتكلمان؟

عبد الله: سنخبرك يا أمير المؤمنين ماذا فعل. لما أردنا الترحل من البصرة قال لنا أبو موسى لو أقدر لكما على أمر أنفعكما به لفعلت.

عمر: بخ بخ ابنا أمير المؤمنين. فماذا قلتما له؟

عبد الله: والله ما قلنا له شيئاً ولكنه عاد فقال: بل ها هنا مال من مال الله أريد أن أبعث به إلى أمير المؤمنين فسأسلفكماه فتبتاعان به من متاع العراق ثم تبيعانه بالمدينة فتؤديان رأس المال إلى أمير المؤمنين ويكون لكما الربح.

عمر: ففرحتما وقبلتما وانتهزتما هذه الفرصة للربح.

عبد الله: لم نر بذلك بأساً يا أمير المؤمنين.

عمر: لا بأس عندكما أن تتجرا في أموال المسلمين!

عبيد الله: أمانة حملنا إياها وسنؤديها إليك. فأى جناح علينا!

عمر: أراك يا عبيد الله ألحن بالحجة من أخيك. خبرنى يا غدر أكل الجيش أسلف أبو موسى كما أسلفكما؟

عبيدالله: لا.

عمر: فقد اختصكما لأنكما ابنا أمير المؤمنين.

عبيد الله: بل لأنه استأمننا ووثق بنا يا أمير المؤمنين.

عمر: أليس فى جيش المسلمين من يوثق به بأمانته سواكما؟

عبد الله: يا أمير المؤمنين قد بينا لك وجه الأمر فاقض ما أنت قاض.

عمر: أديا المال وربحه معه.

عبد الله: كما تحب يا أمير المؤمنين.

عبيد الله: كلا ما ينبغى لك يا أمير المؤمنين إذ لو هلك المال فى الطريق أو نقص لضمناه.

عمر: أديا المال وربحه معه.

عبد الله: سنفعل يا أمير المؤمنين.

عبيد الله: كلا ما ينبغى له أن يظلمنا لأننا ولداه.

عمر: أديا المال وربحه.

عثمان: رويدك يا أمير المؤمنين لقد صدق عبيد الله. ليس لك أن تظلمهما من أجل أنهما ولداك.

عمر: كما حاباهما أبو موسى من أجل ذلك.

ابن عوف: يا أمير المؤمنين إنهما بعد رجلان من المسلمين لهما ما لهم وعليهما ما عليهم.

عمر: فأبو موسى لم يعاملهما كذلك بل آثرهما على سائر المسلمين.

عثمان: آخذ أبا موسى إن شئت ولكن لا تظلمهما.

عمر: سبحان الله كيف أؤاخذ أبا موسى وأقبل رشوته.

ابن عوف: سبحان الله يا أمير المؤمنين ألا يجمل بك أن تحسن الظن بهما وبه؟ لم لا تقول إنه إنما فعل ذلك حرصاً على المال ألا يضيع فى الطريق فجعله فى ضمانهما.

سعد: لو جعلته قراضاً يا أمير المؤمنين فيكون لهما نصف الربح.

عثمان: لقد صدق سعد يا أمير المؤمنين.

ابن عوف: أجل هذا والله هو الرأي.

عمر: (يلتفت إلى على) ما تقول يا أبا الحسن؟

على: أجل يا أمير المؤمنين اجعله قراضاً لتعدل بينهما وبين بيت المال.

عبيد الله: سنفعل يا أمير المؤمنين. أتأذن لنا لنذهب إلى متاعنا فى السوق؟

عمر: (متهكماً) إذا شئتما يا أيها المجاهدان التاجران[1].

---

(١) باكثير: الملحمة الإسلامية- القوي الأمين- المشهد الثالث.

من صور اختيار الولاة فى الإسلام ما كان ينويه عمر قبل مقتله:

وذلك طوافه فى البلدان الإسلامية التى فتحها الإسلام ليساقى المسلمين من الصحابة وغيرهم عمن يريدونه ليكون خليفة عليهم من بعده فبعد أن طعنه أبو لؤلؤة المجوسى يستشير وهو جريح الصحابة فيمن يوليه ثم يقول لعبد الرحمن بن عوف: لقد ألهمنى الله الرأى الأفضل يا عبد الرحمن لو لم يحل هذا الأجل دونه. لو طوفت بأمصار المسلمين مصراً مصراً فأعرف ما لا يبلغنى من أحوالهم وأقضى ما لا يصل إلى من حوائجهم، وأستشيرهم أثناء ذلك فى أحب الناس إليهم أن يلى من بعدى هذا الأمر. فيقول ابن عوف: نعم الرأى هذا لو كان إليه سبيل.

فيجيبه عمر: فاحفظه يا ابن عوف عسى أن يعمل به من بعدى[١].

وإذا كانت بطولة الإسلام قد أبرزها باكثير من خلال الملحمة تتجلى فى العقيدة الإسلامية التى تؤدى بصاحبها إلى الانتصار فى ميادين الصراع سواء أكان صراعاً بين هذا الدين الجديد وبين قوى الشر والطغيان التى تحول بينه وبين توصليه للناس أو فى انتصار المسلم على نفسه، ثم كانت البطولة متجلية فى شخصية الحاكم المسلم الذى وصل إلى أقصى درجات القوة فى تفوقه على نفسه، وعلى الرغبات البشرية لديه التى لو طغت لأدت به إلى هريمة نكراء فى مجال القيم العظيمة.

إذا كانت البطولة قد تجلت فى هذين الميدانين فإن هناك صورا بطولية أخرى ربما تقترب بنا من الصور التى رسمتها الملاحم الإغريقية للبطل خارقاً فى أفعاله وانتصاراته.

---

(١) باكثير: الملحمة الإسلامية- غروب الشمس- المشهد السادس.

إلا أن الأدب الإغريقى يجعل هذا من منظور خرافى أما الملحمة الإسلامية فهى تأتى بالبطل خارقاً من منظور العقيدة التى هى راجعة إلى الله فى كل شئ، والله فى العقيدة الإسلامية هو الحقيقة المطلقة وقدرته لا تحد فإذا رأينا بشراً يتجاوز المتعارف فى القدرات البشرية لدى الإغريق فهو خرافة، أما فى الملحمة الإسلامية إن وجد فهو حقيقة مستمدة من قدرة الله التى لا حدود لها والروايات التاريخية تؤكده. ومن تلك الصور فى البطولة الإسلامية على سبيل المثال ما كان من المثنى بن حارثة الذى وقف وحده يحمى ظهور المسلمين وينادى عليهم: أن اعبروا الجسر وأنا أحمى ظهوركم. واستطاع وحده أن يوقف تقدم العدو حتى تم الأمان لآخر جندى من المسلمين فعل ذلك وهو مثخن بالجراح التى تسببت فى موته فيما بعد[1].

وتتجلى البطولة الإسلامية الخارقة على حقيقتها فيما حدث من خالد بن الوليد الذى وقف يفاوض عبد المسيح بن بقيلة ورأى فى يده قدحا فسأله عنه فأجاب هذا سم ساعة أى يقضى على من يشربه بعد لحظات أتيت به فإن أعطيتنى ما أطلب من الشروط لبنى قومى بما يحبون وإلا سأشربه وأموت. فأخذ خالد منه قدح السم وقال بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شئ فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم ثم شربه وظل صامداً ثابتاً يفاوضه دون أن يحدث له شئ وابن بقيلة فى ذهول ولما رجع إلى قومه قال لهم: جئتكم من عند قوم لا يعمل فيهم السم.

ولما سئل خالد عما شعر به بعد شرب السم قال لا شئ سوى أن جبينى ارفض عرقاً غزيراً واحمر وجهى[2].

---

(١) باكثير: الملحمة الإسلامية- عمر وخالد- المشهد السادس.

(٢) باكثير: الملحمة الإسلامية -الولاة والرعية- المشهد السادس.
كما أن القصة قد ذكرت في (الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر)- الجزء الثاني ص٢١٨- دار الكتب العلمية- بيرون.

ومن قصص البطولة الخارقة قصة عبيد الله ابن أم مكتوم الذى جاء إلى المسلمين فى القادسية يريد الجهاد ويحاول المسلمون منعه فيصل إلى سعد بن أبى وقاص قائد الجيش شاكياً ويقول أحد المجاهدين لسعد: إننا نخشى أن يصيب أحداً من المسلمين وهو يظنه من العدو. فيجيب ابن أم مكتوم: ويلكم والله ما أنتم بأبصر منى فى ذلك.. إنى لأحس قرب العدو وأجد رائحته من بعيد سلوا بى طليحة بن خويلد فقد كان يخرجنى معه فى سراياه.

المغيرة: يقول الله تبارك وتعالى: **(ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج).**

ابن أم مكتوم: ويحك ليس على هؤلاء حرج إن تركوا الجهاد ولكن ليس عليهم حرج كذلك إن رغبوا فيه فافقهوا يا أولى الأبصار.

سعد: صدق والله ابن أم مكتوم.

المغيرة: هل أخبرك يا سعد أنه أراد أن يحمل لواء المسلمين؟

سعد: أحقاً يا ابن مكتوم؟

ابن أم مكتوم: أفي الحق يا ابن أبى وقاص أن يأمننى رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة فيستخلفنى عليها كلما خرج منها ولا يأمننى هؤلاء على خرقة أحملها بين يدى العدو؟

[ويستمر الحوار بين سعد وابن أم مكتوم الأول يريد أن يثنيه عن عزمه وهو مصر].

سعد: يا ابن أم مكتوم إن الله قد أعفاك من ذلك.

ابن أم مكتوم: ألأنى أعمى؟ لم تخاف أن تدعونى كذلك؟ أما والله إنه اللقب الذى أعتز به منذ ذكرنى الله به من فوق سبع سماوات.

سعد: أجل هو ذاك يا عبد الله ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

ابن أم مكتوم: إنى أعمى لا أرى شيئاً. أفلا أستطيع أن أرفع اللواء؟

جرير: غيرك يستطيع أن يرفع اللواء خيراً منك.

ابن أم مكتوم: كلا إن غيرى يستطيع أن يفر إذا رأى ما يفزعه، ولكنى لا أستطيع أن أفر ولو أردت ذلك. فأقيمونى بين الصفين وخلاكم ذم.

سلمان: ما أراك يا ابن أم مكتوم إلا تطلب الشهادة.

ابن أم مكتوم: إى والله يا سلمان إياها أطلب. تلك التى تجمعنى والأحبة محمداً وصحبه.

سعد: يا قوم سلموه اللواء وأقيموه بين الصفين والله يفعل ما يشاء(١).

ويلتصق بموقف الفروسية هذا من ابن أم مكتوم موقف الخنساء إذ خرجت وهى عمياء تدفع بأبنائها الأربعة للجهاد وتقف مصغية لحوار ابن أم مكتوم الذى توج بتحقيقه مأربه مما جلعها تقول لأبنائها الأربعة:

الخنساء: يا بنى أرأيتم ذلك الشيخ الضرير الذى كان هنا منذ ساعة؟

الأربعة: نعم.

الخنساء: وسمعتم حديثه؟

الأربعة: نعم.

الخنساء: فالحقوا به وقاتلوا من حوله وذبوا عن اللواء الذى يحمله.

الأربعة: حباً وكرامة.

الخنساء: يا بنى اسمعوا وصيتى إنكم أسلمتم طائعين، وهاجرتم مختارين، لم تنب بكم البلاد تقحمكم السنة... والله إنكم لبنو رجل واحد كما أنكم بنو امرأة واحدة، ما خنت أباكم ولا فضحت خالكم......

---

(١) باكثير: الملحمة الإسلامية- أبطال القادسية- المشهد الحادي عشر.

انطلقوا فاشهدوا أول القتال وآخره، واصبروا إن الله مع الصابرين.

سعد: هيه يا خناس أتذكرين إذ قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت تنشدينه من شعرك؟

الخنساء: ويحك يا أبا إسحق، ومن ذا ينسى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

سعد: فوالله لو سمع حديثك هذا اليوم لكان أحب إليه من شعرك[1].

ثم يزحف الجميع نحو المعركة ويتساقط أبناء الخنساء الواحد تلو الأخر وكلما أصيب واحد منهم يصيح فزت ورب الكعبة حتى إذا بقى منهم يزيد ينادى عليه أخوه (حزن)٠.

حزن: ما بقي منا لأمنا غيرك يا يزيد فانحز إلى المسلمين وابق لأمك.

ولكن يزيد يرفض ذلك الانحياز الذى فيه نجاته حتى يظل بجانب ابن أم مكتوم الذى قد أصيب أيضاً ويشجع حامل اللواء بأن يبقيه مرفوعاً فها هى كوكبة من خيول المسلمين قد جاءت لتنجده ثم يزحف وهو جريح نحوه ويأخذ اللواء منه ويسلمه للمسلمين ثم يلتفت إلى ابن أم مكتوم قائلاً: إن عشت بعدى ولقيت الخنساء فأقرئها سلامنا نحن الأربعة ثم يموت.

ويأتى القعقاع بن عمرو هو وهاشم بن عتبة ليطمئنا على ابن أم مكتوم بعد أن أخذ أحد المسلمين منه اللواء ويعرفانه نفسيهما فيقول: أصغيا إلى قبل أن أموت.. إذا لقيتما الخنساء الشاعرة فأقرئوها السلام من أبنائها الأربعة ثم يموت[2].

ولا تقف الصورة الإسلامية التى يقدمها باكثير فى الملحمة عند صور البطولة الفردية بل كان يحرص على توضيح صورة المجتمع الإسلامى على

---

(١) باكثير: الملحمة الإسلامية- أبطال القادسية- المشهد الحادي عشر.

(٢) باكثير: الملحمة الإسلامية- أبطال القادسية- المشهد التاسع عشر.

حقيقته وهو أنه لا يقف عند حدود الحرب والضرب، والكر والفر، والتكافل والتعاون، ومثالية ولاة المسلمين وأمرائهم. بل هناك الصورة الفكهة التى عمد باكثير إلى عرض مشاهدها حتى تتضح الصورة المثلى للمجتمع الإسلامى فى شموليته وكماله.

فالمسلمون مجتمعون فى المسجد النبوى الشريف بالمدينة المنورة ينصتون إلى حديث عبد الله بن حذافة الذى قدم من أرض الروم وقد كان أسيراً هناك هو وبعض جنود المسلمين وكانت مناقشة بينه وبين ملك الروم وأراد الملك أن يطلق سراحه ليكون رسول خير بينه وبين عمر فيطلب منه ابن حذافة أن يطلق سراح باقى الأسرى ويقبل رأسه فيستجيب له. ولما حكى ذلك للمسلمين قام عمر وقال: أيها المسلمون إن عبد الله بن حذافة كما سمعتم قد قبل رأس قيصر من أجل إخوانه من أسرى المسلمين فى أرض الروم فحق على كل مسلم أن يقبل رأسه وأنا أبدأ. ثم قبل رأسه ولما تتابع المسلمون ليقبلوا رأسه صاح ابن حذافة متصنعاً الفزع: يا أمير المؤمنين أغثنى. فيقول له عمر: ما خطبك؟ فيجيب: إن هؤلاء لو تتابعوا على رأسى بشفاههم لا يدعونه حتى يحيلوه مثل رأسك (يقصد بذلك أن يجعلوه أصلع كرأس عمر الذى اشتهر بصلعته) مما جعل الجميع يضحكون وعمر بعد أن يضحك يقول: قاتلك الله يا ابن حذافة أيها المسلمون كفوا إذن عن رأسه[1].

ومما تصوره الملحمة أن الطبيعة العربية الصافية لم تجاف المسلمين وقت الحرب فحبهم للفن الشعرى يظل مصاحباً لهم فى وقت الشدة وها هو أحد المسلمين يدعو للمبارزة ويرتجز الشعر فى ذلك الموقف قائلاً:

قـــد علمت واردة المســـايح ذلت اللبـــان والبنان الواضح

(١) باكثير: الملحمة الإسلامية– سر المقوقس– المشهد الأول.

أني ســــــمـــام البطل المشـــايح وفــارج الأمــــر المهم الفــادح

مما جعل القائد الفارسي رستم يتعجب من قوله بعد أن ترجموه له ويطلب من الذي يبارزه أن يقتله ولكن (غالب) وهذا اسمه يداور الفارس حتى يخطفه من على فرسه ويفر به نحو معسكر المسلمين بعد أن أسره(١).

وهذا القعقاع بن عمرو في معركة القادسية بعد أن قتل البيرزان أحد قواد الفرس يصيح فرحاً بشعر فيه فخر وفرح وغزل:

قــد علمت مــصــقــولة الترائب ذات العـيـون الـسـود والحـواجب

أنـي سم الـبـطـل المحـــــارب حـملت بالـسـيف على ذي الحـاجب

فـأصـبح اليـوم كـأمس الذاهب والبـيـرزان رعـتـه بالـقـاضب

مـاض الفـرار كـالقـضـاء الغـالب(٢)

وهذا قيس بن هبيرة يخرجه خالد بن الوليد لمبارزة البطريق فيرتجز:

ســائل نســاء الحي في حــجـــالهـا

ألسـت يوم الحــرب من أبطـالهــا

ومـــقــعص الأقـــران من رجـــالهــا(٣)

وإذا كانت هناك ملامح للحياة العادية عند المسلمين في الحرب حيث الإسلام يطلب من معتنقيه العمل للدنيا وللآخرة في نفس الوقت فقد صورت المسرحيات التي وردت في الملحمة المسلمين في معاركهم يتزوجون وينجبون ويأخذون نسائهم معهم في الحرب يخدمنهم ويمرضن الجرحى ويعنين

(١) باكثير: الملحمة الإسلامية-أبطال القادسية- المشهد الثاني.
(٢) باكثير: الملحمة الإسلامية-أبطال القادسية- المشهد السادس.
(٣) باكثير: الملحمة الإسلامية-أبطال اليرموك- المشهد الخامس.

بشؤون المجاهدين. ولا تخلو الملحمة من مواقف عاطفية بين مجاهد وزوجه والمعارك تسير سيراً عادياً مما يجعل صورة المسلمين بشراً أسوياء في كل أحوالهم وجميع أيامهم[1].

وتظل الصلات متصلة بين نساء المجاهدين الذين تخلفوا في المدينة عن أزواجهن حيث عمر كان يأمر ابن مسلمة يطوف على بيوت المجاهدين بالدواة والقراطيس والأقلام ليكتب لأهل المجاهد ما يريدون قوله لمجاهدهم ثم ترسل هذه الكتب ويأتي الرد من قبل المجاهدين ويسلم لذويهم[2].

وتتألق عدالة الإسلام مع أهل البلدان التي فتحها وبقي أصحابها على دينهم فيسقط عمر الجزية عن فقراء اليهود بل ويعطيهم من بيت المال بل ويطلب عمر من شيخ كبير من اليهود أن يقاسمه طعامه[3].

وخير ما نختم به نظرتنا للملحمة ذلك الموقف العاطفي من المثنى ابن حارثة قبل أن يجود بروحه يطلب رؤية فرسه الشموس التي كان يحارب عليها فيأتونه بها ويمسح بيده على عرفها والفرس تهمهم وكأنها تبكي ثم يوصي بها لسعد بن أبي وقاص الذي تولى إمرة المسلمين بدلا منه[4].

---

(١) باكثير: الملحمة الإسلامية-معركة الجسر- المشهد الأول.

(٢) باكثير: الملحمة الإسلامية-حديث الهرمزان- المشهد السابع.

(٣) باكثير: الملحمة الإسلامية-القوي الأمين- المشهد الثامن.

(٤) باكثير: الملحمة الإسلامية-كسري وقيصر- المشهد السادس.

٣- المسرحيات التى تدور حول الشخصيات الإسلامية التاريخية:

(إنسان سمح تفوق سماحته كل تصور)

أما المسرحيات التى تدور حول الشخصيات الإسلامية لدى باكثير ويتراءى التيار الإسلامى من خلالها فهى تركز على الشخصيات النموذجية المثالية وهى تجنح إلى أحد الجوانب البراقة لدى الشخصية مع أن كل جنباتها رائعة فتدور كلها حول هذا الجانب وهذه شخصية عمر بن عبدالعزيز أول الشخصيات فى مجموعته (هكذا لقى الله عمر ابن عبد العزيز).

والمسرحية كلها فصل واحد يحكي قصة الخليفة العادل حينما شعر بالمرض القاتل ومسلمة بن عبد الملك يسأله عمن سقاه الحساء فيجيب لا أذكر إلا أنى شربته فكأنما شربت الرصاص الذائب وتتجه أبصار مسلمة وفاطمة زوج عمر إلى غلام أمير المؤمنين إلا أنه يطلب منهما عدم اتهامه ثم يطلب أن يتركاه وحده مع الغلام ويتحدث معه برفق فيعترف الغلام وهو يبكي ويطلب من عمر أن يستغفر له الله لعله يغفر له ويسأل كم قبض من الذى طلب منه أن يدس له السم فيقول ألف دينار ولن يعطيها لى إلا إذا مت فيبجيه عمر إنهم لن يعطوك إذا أنا مت وربما قتلوك حتى لا تفشى السر فاذهب الآن واطلب منهم المال فيقول الغلام إنهم لن يعطونى فيقول له اذهب الآن واطلب منهم ما وعدوك به فإن أبوا فهددهم بإفشاء السر وقد هم الغلام بالاعتراف عمن دفعه ولكن عمر يأمره بألا يبوح باسمه له أو لغيره ثم تأتى زوجه فاطمة فيخبرها بأن حليها التى أخذها منها فى صندوق خاص مكتوب عليه اسمها فى بيت المال ومن يأتى بعده لن يصرف ما فى بيت المال فى مصارفه الإسلامية فإن أرادت أن تأخذها منه فلتفعل إلا أنها تقول له إذا

أذنت لى سآخذها وأتصدق بها على الفقراء واليتامى فيمتلئ وجهه بالبشر. ثم يتوجه إليها عمر برجاء خاص هو أن تسامحه فى تقصيره معها فقد انصرف عنها منذ أن تولى الخلافة وهى تطمئنه على هذا الأمر ويأتى غلامه بالألف دينار ويمسك به مسلمة طالباً أن يقتص منه لأنه سمع هو وفاطمة ما دار بينه وبين أمير المؤمنين من اعتراف فيقول عمر ليتكما ما سمعتما إنى قد سامحته وعفوت عنه خل عنه يا مسلمة فقد أعتقته لوجه الله... ويحك يا مسلمة إن أخذت الغلام بجريرته ليحقن عليك أن تأخذ الآخرين بجريرتهم وإذن لتكونن فى أهلك فتنة لا يعلم عاقبتها إلا الله.

ويأبى مسلمة ولكن عمر يتوسل إليه ألا يفعل. وتقول فاطمة للغلام غصين اذهب لا بارك الله فيك فيقاطعها عمر بل غفر الله له وبارك فيه امض يا غصين واستغفر الله لى ولك. ثم يقول له إنى أخشى عليك من هذا المال وددت لو أبقيه لك لولا خشيتى أن يلتهب عليك ناراً يوم القيامة فهل لك فى خير من ذلك. أن أعيدها إلى بيت مال المسلمين ثم يأمر بتنفيذ هذا الأمر.

ويتوجه عمر إلى ربه بالدعاء: اللهم رضنى بقضائك، وبارك فى قدرك، حتى لا أحب لما عجلت تأخيراً ولا لما أخرت تعجيلاً. ويستمر فى قراءة القرآن وترديد الشهادتين ثم يسأل عن غلامه غصين ذلك الذى دس له السم فيقولون قد مضى لسبيله يا أمير المؤمنين فكان آخر ما قاله وهو يجود بنفسه: اللهم اغفر لعبدك غصين، واغفر لعبدك عمر مع عبدك غصين.

والمسرحية على هذا النحو تبرز النموذج الأمثل للحاكم المسلم الذى ضرب المثل الأعظم فى التسامح، والعفو، والوصول بمكارم الأخلاق إلى درجة من الحلم والسماحة لا نظير لها. إن عظمة النفس التى تبسطها أمامنا مسرحية (هكذا لقى الله عمر بن عبد العزيز) لتضع مثالاً لإنسان تتطامن

أمامه البشرية، وتحنى رأسها لديه الإنسانية، وتتيه به عجباً القيم الإسلامية العظيمة. إذ لا يقف التسامح مع من دس له السم بالغفران بل وبالإحسان حيث يعطيه حريته ويعتقه ثم يأمر بعدم التعرض له. ثم هذا التواضع الأمثل أمام زوجه حيث يطلب منها الصفح عن تقصيره فى حقها ثم هى تطيب خاطره وهى تعلم تشدده فى إنفاقه مال المسلمين فتؤكد له أن حليها وجواهرها إن حصلت عليها بعد موته ممن سيتولى بعده سوف تنفقها فى سبيل الله على الفقراء والمساكين.

ولا تقف صورة عمر التي تقدمها المسرحية عند صفحه وغفرانه وسماحة نفسه بل هو العقل المفكر المدبر المحنك الذى يفهم الناس حق الفهم ويدرك الأمور حق الإدراك لقد استطاع أن ينتزع اعتراف غلامه بأنه هو الذى وضع له السم. ثم يطلب من الغلام ألا يبوح له باسمه ويأمره بكتمان الأمر عن الجميع. ولما يرى من مسلمة أنه يمكن أن يعاقب الغلام ومن دفعه لذلك حيث سمع ما فاه به الغلام لعمر من اعتراف عندما رأى نية مسلمة فى أن يؤاخذ المذنب يطلب منه ألا يفعل حتى لا تكون هناك فتنة بين بنى أمية بل بين المسلمين كافة. أعظم مثل فى إنكار الذات يضربه عمر بن عبد العزيز ولولا رجاؤه مسلمة لكانت كما يرى فتنة. وكأنى بمسلمة لم يذعن له إلا لرغبته فى تنفيذ وصيته حتى يكون قد بر به بعد موته ثم أروع ما فاه به عمر ابن عبد العزيز وهو يجود بأنفاسه من دعاء لله أن يغفر لغلامه كما يغفر له.

إن المثل الإسلامية العظيمة التى تلوح من خلال هذا الفصل الواحد من مسرحية (هكذا لقى الله عمر بن العزيز) كثيرة متنوعة[1].

---

(١) علي أحمد باكثير: مجموعة (هكذا لقي الله عمر بن عبد العزيز) - مكتبة مصر.

(الأسير الكريم خبيب بن عدى)

مسرحية من احد عشر مشهداً

ومن الشخصيات التى تتألق بالتيار الإسلامى شخصية سماها باكثير بالأسير الكريم (خبيب بن عدى) صحابى كريم حارب مع الرسول صلى الله عليه وسلم وقتل (الحارث بن بدر) فى معركة بدر وكانت قبيلة هذيل قد ذهبوا إلى المدينة وأظهروا إسلامهم وطلبوا من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يرسل معهم من يعلمهم الإسلام فكان ممن أرسله معهم خبيب بن عدى وبعد أن ترك الهذليون المدينة وصاروا فى مأمن غدروا بالصحابة قتلوا بعضهم وباعوا بعضهم لمن يريد من قريش أن يقتص منهم. وكان نصيب خبيب أن بيع بخمسين من الإبل دفعها عقبة بن الحارث لهم وساق الصحابى خبيب بن عدى مقيداً ودفع به إلى أخته وطلب منها أن تطعمه ما يبقى عليه الحياة فقط وتعذبه عذاباً شديداً على ألا يؤدى به هذا العذاب إلى الهلاك حتى تنقضى الأشهر الحرم فيقتلونه وتبدو شخصية خبيب وهو فى الأسر ثابت الجنان راضياً بقضائه بل فرحاً به فهو يستعذب الآلام التى تأتيه ممن أسروه وكأنه يتلذذ بما سؤدى به إلى الشهادة وكلما عذبته جليلة– المرأة التى هو محبوس عندها– يهتف: الحمد لله الحمد لله. وتتعجب هى وتقول فى غيظ: ويلك تضرب وتقول الحمد لله؟ أهكذا أمركم صاحبكم محمد؟ فيجيبها: أجل يا أخت بنى الحارث إن نبينا صلى الله عليه وسلم أوصانا بالصبر على ما نلقى فى ديننا من مكروه. وتكل المرأة من الضرب وهو يناديها بلسان عف وقول كريم: يا أم عامر دعى أخاك يفعل ذلك فهو أقوى منك ومن هذا الصبى ابنك الذى دفعت به إلى ضربى فأرهقته.

فتستشيط غضباً من صبره وثباته وتهدده بالقتل فيقول لها: إذن تطلقين سراحي وترسلينني إلى الجنة. فتهدده بأنها لن تطعمه فيرد عليها بأن الله سيطعمه ولما تكذبه يرد عليها: أترى إن رأته يعيش بلا طعام ولا شراب أتؤمن بالإسلام؟ لقد نسي الأسير الكريم كل ما هو فيه من عذاب وهوان ولم ينس الإسلام فالمسلمون مبشرون بالإسلام داعون له مأمورون بتبليغه للناس ولكن المرأة تقول: لن أؤمن بدينك مهما حدث. ويتسلل الصبى عامر إلى الأسير يحادثه وتميل نفسه إليه ويأتيه خفية ببعض اللبن ليشربه فهو لم يذق شيئاً منذ ثلاثة أيام. فيسأله: أتعلم أمك؟ فيقول: لا لن أخبرها إذا سألتني. فيعلم الأسير المسلم الكريم الصبى بأن الكذب حرام لا يرضى به الله وتأتى المرأة وتأخذ اللبن ثم تريقه على الأرض وتتهم الأسير الكريم بأنه يشجع ابنها على سرقة اللبن له. ويخبرها الصبى بخلق الصحابى العظيم وما علمه إياه من مكارم الأخلاق وما أمره به من عدم الكذب ولكنها تتعجب إذ كيف بقى على قيد الحياة بهذه الحيوية ولم يذق شيئاً منذ ثلاثة أيام فيهتف الأسير: يا هذه قلت لك إن الله يطعمنى ويسقينى. فتطالبه بالبرهان فيتوجه بالدعاء إلى السماء فى خشوع: اللهم أرنا برهاناً من عندك يكون حجة لدينك ومصداقاً لنبيك. وإذا بالصبى يصيح فى دهش: انظرى يا أماه إن فى يده قطف من العنب. ويعطيه لها ويقول: خذيه إنه من عند الله. ولكن الحقد قد أعمى قلبها فتتهمه بالسحر ولو كان ساحراً حقاً لسحرهم وفك نفسه من الأسر! وما إن تخرج المرأة من الدار حتى يتسلل الصبى عامر إلى الأسير فيشرح له الإسلام والصبى يرى نفسه يميل إليه. ثم تأتى القرشية سلافة من بنى عبد الدار ومعها عبد يحمل رأساً وتقول لخبيب أتعرف رأس من هذا فيجيبها رأس أخى عبد الله بن طارق فتكذبه المرأة لأنها اشترته بمائة ناقة على أنه عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح الذى قتل

وليديها يوم بدر. ويجرى باكثير الحوار ممتعاً فى سلاسة بين خبيب ومن حوله فهم يكذبونه وهو ينبئهم صادقاً إذ لا فرق عنده بين إخوانه سواء أكان الرأس لعبد الله بن طارق أم لعاصم بن ثابت. إن عاصم بن ثابت لما رأى الغدر من هذيل قاتلهم حتى أثخنوه فدعا ربه: اللهم إنى قد حميت دينك صدر النهار فاحم جسدى آخره. فلما أرادوا أن يمثلوا به بعد موته سلط الله عليهم زنابير ذات حجم كبير تلسع كل من يقترب من الجثة حتى جاء السيل فحملها إلى حيث يعلم الله وتتتابع المشاهد مع خبيب فيأتونه بأسير هو (زيد بن الدثنة) قاتل أمية بن خلف مغلول اليدين يقوده صفوان بن أمية يريد من خبيب أن يخبرهم بشخصيته لأنهم كلما سألوه: من هو؟ يردد: سبحان الله والحمد لله. ويتوجه الأسير القادم زيد بن الدثنة إلى الأسير الآخر خبيب قائلاً: إن هؤلاء يريدون منى أن أعترف لهم بحقيقة اسمى ولكنى أغيظهم حتى يتعجلوا قتلى فأستشهد. فينبهه خبيب: يا أخى إنك بذلك تؤخر استشهادك عرفهم حقيقة اسمك فيسارعوا بقتلك فتلقى الشهادة. ويدور حوار يوضح ثبات المؤمن وهو يلقى القتل فى سبيل الله ويدعو ربه أن يستشهد ويعجب الكفار إن كان إلههم يستجيب لهم فلماذا لا يدعونه بالخلاص من الأسر، وينقذهم من القتل؟ فيجيب خبيب: إنهم يريدون الجنة.

وفى المشهد الثامن يخرج من فى ادار مع خبيب عدا الصبى عامر فيطلب منه أن يأتيه بموسى ليهذب من شعره حتى يلقى الموت فى صورة حسنة وتأتى أم الصبى من الخارج وترى الصبى جالساً على فخذ الأسير والموسى فى يده فترتاع هى وأخوها إنه سيقطع رقبة الصبى لا محالة انتقاماً منهم ويمثل خبيب أنه سيقتل الصبى ويضع الموسى على رقبته وتصرخ الأم ويفزع أخوها ولكن الأسير والصبى يضحكان وكأن لا شئ

ينتظر الأسير وترى الأم تلك الشواهد الناصعة على أن خبيباً على الدين الحق فتتسلل إليه مع ابنها يستمعان إليه وما أجمل الحوار الذى يدور، وما أسلسه، وما أروع المفاهيم التى يبثها حتى تؤمن المرأة وتتفق هى والصبى على تهريب الأسير واستعدادهما لتحمل العذاب حيث سيتهمان بتهريبه وإن هى إلا سوط أو سوطان ثم يزول الألم ولكنه يحاورهما إلى أن يقنعهما بألا يفعلا حتى يتجنبا إيذاء القوم وينساب الحديث شهياً ممتعاً بين الثلاثة حتى ينطبق الصبى وأمه بالشهادتين.

وفى المشهد الحادى عشر مشهد القتل يطلب خبيب أن يصلى ركعتين ويقول لهم: والله لولا أن تحسبوا أن ما بى من جزع لزدت. ثم يسألونه: أتحب يا هذا أن محمداً مكانك؟ فيجيب: لا والله، والله ما أحب أن يؤذى محمد بشوكة فى قدمه. وكان آخر ما قال: اللهم إنه ليس هنا أحد يبلغ رسولك عنى السلام فبلغه أنت عنى السلام[1]. صور لا يمكن أن توجد خارج المجتمع الإسلامى.

(الإمام الشجاع)

ومن صور المسرحيات التى ألفها باكثير حول الشخصيات الإسلامية وتموج بالتيار الإسلامى مسرحية (الإمام الشجاع) وهى تدور حول ابن تيمية فى ميادين جهاده المتعددة. جهاده مع التتار، وجهاده مع السلطة، وابتلاؤه بالفقهاء، ثم دخوله السجن مرة بعد مرة. وكل حديث من ابن تيمية يجريه باكثير فى أسلوب جميل أخاذ بعضه قد جرى بألفاظه والبعض يجريه حسب المعنى لكن بألفاظ سهلة وعبارات جميلة وفى كل المناقشات تذكر الأدلة الشرعية مدعمة بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية وقواعد أصول

(١) علي أحمد باكثير:مجموعة (من فوق سبع سماوات)- مكتبة مصر.

الفقه وتتوالى المشاهد وهو فى السجن سعيد بخلوته يقرأ ويؤلف ويناقش أهل البدع ويعانى من حقد بض الفقهاء إلى أن يأتى المشهد الرابع عشر وفيه يأتى نائب السلطان إليه فى السجن وكانت مؤلفاته وفتاواه التى تخالف آراء بعض الفقهاء سبباً فى حقدهم عليه ويسأل السجين ابن تيمية النائب عن سلطانه ويتعجب نائب السلطان ألا يحس شيئاً مزعجاً فى سجنه حيث يراه يبدو غير مبال فيخبره بأن السجن فرصة للتأمل والطمأنية وهنا يعرض عليه أن يرجع عن فتواه فى الطلاق حتى يخرج من السجن فيجيبه بأنه لا يرجع فى فتوى إلا إذا أقنعه العلماء بالدليل من الكتاب والسنة فيبلغه أن السلطان استجابة لطلب العلماء قد أمر أن يحال بينه وبين الكتب فتكون القاصمة بالنسبة له وكأن هذا كان سبباً فى التعجيل بموته فيأتى المشهد الخامس عشر وابن تيمية يحتضر وقبل أن يجود بنفسه يقول لأخيه زين الدين: أبلغ الناس جميعاً أننى قد أحللت السلطان الناصر من حبسه إياى وأحللت كل أحد مما بينى وبينه إلا من كان عدواً لله ولرسوله. ثم يتمتم بالشهادة[1].

وتتوالى شخصيات العلماء عند باكثير. أما ابن تيمية فقد عرض حياته وكلها جهاد مع التتار، ومع السلطة، ومع العلماء، ومع السجن والنفى.

(جار أبى حنيفة)

أما أبو حنيفة فقد عرض له من خلال قصته مع جاره ولذلك جاءت المسرحية عنه فى خمسة فصول تدور حول تعاطفه مع ذلك الجار وهو رجل عربيد يسهر الليل شارباً للخمر مغنياً إلى أن تمسك به الشرطة وتزج به فى السجن ولما لم يعد أبو حنيفة يسمع صوته سأل عنه وعرف ما أصابه فيظل

(١) علي أحمد باكثير: مجموعة (هكذا لقي الله عمر بن عبد العزيز)- الإمام الشجاع- مكتبة مصر.

يتتبع السجون يسأل عنه ويصل إلى الوالى يستشفعه فيه فأجابه إلى طلبه ويعجب الجار من خلق أبى حنيفة ويكون هذا الموقف منه سبباً فى توبته وإنابته[1].

(أحمد بن حنبل)

وتأتى بعد ذلك شخصية أحمد بن حنبل بعد أن تعرض للمحن التى أصابته وظل ثابتاً حتى جاء المتوكل فعفا عنه وأراد أن يهبه داراً كأنها قصر ويجرى عليه مالاً ويتركز الحوار حول رفضه هذا ويستمر الأخذ والرد بينه وبين المتوكل إلى أن يقول له: سأصدقك القول يا أمير المؤمنين إنى لا أحب لك أن تكون أقسى على من المعتصم أبيك... سامنى أبوك فتنة الدين أمس، وأنت اليوم تسومنى فتنة الدنيا بما تغدق على وعلى أهلى من عطاياك. وقد نجوت من الأولى يا أمير المؤمنين وأخشى ألا أنجو من الثانية. فيتركه المتوكل وما يريد لكنه يطلب منه الموعظة فيوجزها فى تلك الكلمات: يا عبد الله السفر قريب، والطرق طويل، والزاد قليل[2].

(زوجتان صالحتان)

ولا ينسى باكثير الشخصيات النسائية فينساب قلمه بمسرحية (زوجتان صالحتان) أم حكيم زوج عكرمة بن أبى جهل، وفاختة زوج صفوان ابن أمية. لقد أسلمت المرأتان أما زوجاهما فلا يزالان على الكفر وقد هرب عكرمة، أما زوج صفوان فتخبره أنها أصبحت محرمة عليه لأنها الآن مسلمة وهو لم يزل على الكفر ولقد طلبت أم حكيم من الرسول صلى الله عليه وسلم

---

(١) علي أحمد باكثير: مجموعة (هكذا لقي الله عمر بن عبد العزيز)- جار أبي حنيفة- مكتبة مصر.

(٢) علي أحمد باكثير: مجموعة (هكذا لقي الله عمر بن عبد العزيز)- إمام عظيم- مكتبة مصر.

الأمان لزوجها عكرمة فأمنه وها هى تجوب البلدان بحثاً عنه لتخبره بذلك حتى تلقاه فى طريقه فاراً إلى اليمن ولم تزل به حتى يسلم، وكذلك فعلت فاختة مع زوجها صفوان حتى هداه الله إلى الإسلام ويكون المشهد الرابع من المسرحية فى المدينة المنورة ويأتى عكرمة فى مقام العائذ بالرسول صلى الله عليه وسلم ويطيب الرسول صلى الله عليه وسلم خاطره قائلاً: (يا عكرمة ما تسألنى شيئاً أقدر عليه إلا أعطيك إياه) فيكون طلب عكرمة: استغفر لى كل عداوة عاديتكها يا رسول الله. فيجيبه الرسول صلى الله عليه وسلم: (اللهم اغفر لعكرمة كل عداوة عادانيها أو منطق تكلم به).

وتتم الفرحة حينما تجتمع أم حكيم زوج عكرمة وفاختة زوج صفوان والمرأتان أبناء عم ويكون اجتماعهما مع زوجيهما بعد أن أسلما فى بيت خالد بن الوليد بالمدينة وهو ابن عمهما أيضاً من بنى مخزوم ويهتف خالد وهو فرح جذلان: والله ما شهدت كاليوم سرور وبهجة هذا يوم من أيام مخزوم. فيجيبه صفوان: لله در نسائكم يا بنى مخزوم يسبقن أزواجهن إلى الإسلام ثم يجاهدن حتى يفئ أزواجهن إلى الإسلام. ويلتفت خالد إلى عكرمة سائلاً: كيف تجد نفسك الآن يا عكرمة؟ فيجيب فى تأثر شديد: ماذا أقول يا أبا سليمان؟ أجدنى كأنما ولدت من جديد حين وضعت يدى فى يد خير الناس، وأبر الناس، وأكرم الناس(١).

---

(١) علي أحمد باكثير: مجموعة (من فوق سبع سماوات)-امرأتان صالحتان- مكتبة مصر.

٣- المسرحيات التى توضح فكرة إسلامية:

أما عن الفكرة الإسلامية التى تلوح من خلال الأعمال التاريخية فى مسرح على أحمد باكثير فنبدؤها بمسرحية:

(البيت العتيق)

ومن خلال هذه المسرحية تبرز فكرة أساسية وهى التسليم المطلق لله سبحانه وتعالى من نبيه إبراهيم صلى الله عليه وسلم حينما دار الحديث بينه وبين ابنه إسماعيل وهما يبنيان البيت كما أمرهما ربهما ومن خلال تعاونهما فى بناء الكعبة وتحادثهما معاً يطلب إسماعيل من أبيه أن يبقي معه في مكة بعد بناء البيت فيجيبه: وأنى لى ذلك يا بنى لقد أمرت بأن تكون هذه هجرة لله فلو أقمت معك ما كانت كذلك... يا إسماعيل لو كان ذلك لى لقد كانت هاجر أمك أحرى منك بأن أقيم معها (تخالط صوته رقة) وألا أدعها تموت هنا وحدها دون أن ترانى. ويحكى له ما كان من أمه وتسليمها لأمر الله ويزهو إساعيل بأبيه فيهتف: لشد ما أطعت ربك وصبرت يا أبت. وتنبثق من خلال مسرحية (البيت العتيق) فكرات فرعية أخرى فنبى الله إبراهيم يزدهى بابنه إسماعيل لأن الله اختاره هو أبا لهذه الأمة العظيمة أمة العرب إذ بلغتها سينزل الله الكتاب الكريم على الرسول العظيم من ذرية إسماعيل فتصبح العربية هى لسان المهتدين بهذا الدين فى مشارق الأرض ومغاربها إلى يوم القيامة. ولكن إذا كان الابن هو أبو العرب كلهم فإن والده قد شاء الله أن يجعله أبا للملة كلها ملة التوحيد والإسلام مهما تختلف أنسابها وألوانها وديارها. وتدور المسرحية حول فكرة التسليم المطلق إذ لله حكمة تخفى علينا وليس لنا إلا الإذعان لما يأمرنا به ربنا فإسماعيل يذكر لأبيه أن أمه حدثته بخوفها على نفسها وعلى ابنها من السباع ومن الإنس

فلما أخبرها أن هذا أمر الله سكنت واطمأنت ويتدفق الحديث من الخليل وهو يسامر ابنه: إن لله يا بنى لحكمة فى كل شئ ألهم سارة خالتك أن تغار منك ومن أمك ليكون ذلك سبباً لعمارة بيته هذا العتيق وليجعل لى ولك شرف بنائه وتطهيره للطائفين والعاكفين والركع السجود.

ثم تتابع الفكرات تتهادى واحدة بعد الأخرى توضح حكمة الله فى اختياره هذا المكان لبيته دون باقى الأرض على الرغم من أنه غير ذى زرع - ومقومات العيش آنذاك لا تكون إلا فى مجتمع الزراعة- ثم يكون الحديث موضحاً لذلك ومبيناً كيف أن الله سبحانه وتعالى سيبعث آخر الزمان نبيه خاتم الأنبياء للناس كافة ويعجب إسماعيل من أن ذلك المكان المنعزل كيف تنتشر منه فكرة التوحيد إلى جميع أرجاء الأرض.

إسماعيل: هل لى أن أستزيدك علماً؟

إبراهيم: افعل يا بنى الحبيب سلنى ما تشاء.

إسماعيل: فيم اختار الله هذا الوادى القفر ليكون دار هجرتنا أنا وأمى؟

إبراهيم: ويحك يا بنى لمكان بيته المحرم هذا.

إسماعيل: وفيم جعل مكان بيته المحرم هنا فى هذا المكان الجدبيب؟

إبراهيم: ويحك أضقت ذرعاً بالعيش هنا يا إسماعيل؟

إسماعيل: كلا يا أبى إنى لأحب هذا الربع ولا أعدل به جنات الأرض وحسبى أن أمى فيه عاشت وبه دفنت، وأنها رأت من الآيات يوم مقدمها ما جعلها تنعم بالاً وتقر به عيناً.

إبراهيم: أجل إنها لآيات بينات أكرمها الله بها ثم فضلها على نساء العالمين، إذ جعل آثارها ومواطئ أقدامها مناسك يؤديها حجاج بيته إلى يوم القيامة.

إسماعيل: ولكنى أشتهى بعد يا أبى أن أعرف الحكمة فى اختيار هذه البقعة الجدباء من دون بقاع الأرض.

إبراهيم: ويحك يا بنى ألم أخبرك غير مرة أن الله قد بشرنى أن يبعث هنا رسولاً عظيماً من ولدك يكون خاتماً لرسله، إذ يضع ميزان الحق على الأرض فلا يرتفع عنها حتى تقوم الساعة.

إسماعيل: بلى يا أبى ولكن فيم هذا المكان الجدب لذلك الرسول العظيم؟

إبراهيم: أى بنى إن الله لم يوح إلى بشئ من ذلك، ولكن لعله جلت حكمته قد قضى فى سابق علمه أن يصون هذه البذرة الطيبة هنا فى معزل عن عواصم المشركين وملاحم الجبارين حتى يأتى ذلك اليوم الموعود.

إسماعيل: هذا حسن يا أبى ولكن إذا ظهر ذلك الرسول العظيم فى هذا الموضع القفر فلن يكون المهتدون به إلا قلة من الناس.

إبراهيم: مهلاً يا بنى لقد نبهتنى بسؤالك هذا إلي حكمة لله أخرى والله أعلم وأحكم.

إسماعيل: ما هى يا أبى؟

إبراهيم: كما يتيح الله لتلك الأمة التى يبعث بين ظهرانيها ذلك الرسول فتهتدى به، أن توفض من هذه البقعة فتنساح شرقاً وغرباً إلى حيث تنشر رسالته ودينه فى منابت الزرع والضرع، ومساقى الأنهار، ومساقط الأمطار من ممالك الأرض وأممها جرياً فى ذلك على سنته التى لا تتبدل فيكون لتلك الأمة ملك العالم وخير الدنيا والآخرة.

وينتهى البناء والنبيان الكريمان يتسامران ويقدمان الفكرة بعد الأخرى حتى يسمع دوى فيتساءل إسماعيل: ما هذا يا أبت؟ فيقول له: هذا جبريل يقول أذن الآن.

إبراهيم: (بأعلى صوته) أيها الناس إن الله تبارك وتعالى قد كتب عليكم الحج إلى هذا البيت العتيق.

(تتجاوب الأصوات مدوية من قريب وبعيد بكلمات شتى ولهجات متباينة)

إسماعيل: يا أبت ما هذا الدوى؟

إبراهيم: ما هذا يا جبريل؟ أهذه هى؟

جبريل: أصوات أجيال البشر التى كتب لها الله حج بيته العتيق.

إسماعيل: وماذا تقول يا أبت تلك الأصوات؟

إبراهيم: ماذا تقول الأصوات يا جبريل؟

جبريل: تقول بشتى لغاتها ومختلف ألسنتها فى المشارق والمغارب (لبيك لبيك)[1].

(العمل الصالح)

ويعرج باكثير على التاريخ المروى عن الرسول صلى الله عليه وسلم فيجعل منه مسرحية فكرتها العمل الصالح ينجى صاحبه فى الدنيا قبل أن يحصل على ثواب عمله فى الآخرة فلقد صاغ مسرحية «أصحاب الغار» من الحديث الذى رواه عبد الله بن عمر (بينما ثلاثة نفر يتمشون أخذهم المطر فأووا إلى غار فى جبل فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل فانطبقت عليهم فقال بعضهم انظروا أعمالاً صالحة عملتموها لله فادعوا الله تعالى بها لعل الله يفرجها عنكم.. إلخ)[2].

(١) علي أحمد باكثير: مجموعة (هكذا لقي الله عمر بن عبد العزيز)- البيت العتيق- مكتبة مصر.

(٢) انظر: صحيح مسلم -المجلد الرابع- كتاب الذكر والدعاء- ص٢٠٩٩- دار إحياء الكتب العربية.

ولقد وفق باكثير فى إطالة الأخذ والرد والمحاورة وإظهار ما فى النفوس من خير وما يعتورها من شر أحياناً ينتج عن الضعف الذى ينتاب بعض البشر ولقد وفق فى الإتيان بمعنى الحديث على صورة مسرحية دون أن يخرج فى شئ عن مفهوم الحديث وفحواه[1].

وعلى ذكر الحديث نرى باكثير قد جنح إلى بعض الأحاديث المروية ولها دلالة قصصية فيأتى بها ويصوغها فى مسرحية مع الاحتفاظ بعبارات الرسول صلى الله عليه وسلم كما هى- ومما لاشك فيه أن مجتمع الصحابة الذى تعرضه أمامنا المسرحية قد أمسى تاريخاً إذ نحن بصدد الفكرة التاريخية فى مسرح باكثير المستوحاة من الحديث الشريف.

لقد روت كتب الحديث قصة ثعلبة الذى كانت نفسه تتوق إلى المال وطلب من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يدعو له بكثرة المال. فنبهه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أن كثرة المال قد تؤدى بصاحبه إلى الهلاك. ولكنه يؤكد عدم طغيان المال عليه. ويبدأ ماله يكثر فيترك الجماعة، ثم ينشغل أكثر فيترك الجمعة، ثم يمنع الزكاة وينزل فيه قول الله تعالى **(ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين * فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون* فأعقبهم نفاقاً فى قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون)**[2].

والفكرة التى يركز عليها باكثير هنا هى التنفير من فتنة المال والتحذير من سلطانه وتحكمه فى النفوس وبخاصة من الحوار الذى أجراه مع أبى ذر الغفارى قبل أن يسأل الرسول صلى الله عليه وسلم عن قيمة المال والصحابى أبو ذر يفهمه برفق إلى ما فى الحياة من أشياء طيبة غير المال

---

(١) علي أحمد باكثير: مجموعة (هكذا لقي الله عمر بن عبد العزيز)-أصحاب الغار- مكتبة مصر.

(٢) انظر: تفسير بن كثير- آية (٧٥، ٧٦، ٧٧) من سورة التوبة.

وإلى القناعة وقيمتها فى نشر السكينة على النفوس وتوالت الأحداث إلى أن أنزل الله من فوق سبع سماوات قرآناً يتلى فسمى باكثير مجموعة مسرحياته التى ضمها كتابه (من فوق سبع سماوات) وسمى قصة ثعلبة بهذه الجملة ومعها باقى المسرحيات[1].

وفى المجموعة التى معنا مسرحية (هلك المتنطعون) والعبارة حديث للرسول صلى الله عليه وسلم[2].

وأصبحت مسرحية عند باكثير تحكى ما كان من سلمان الفارسى حينما هاجر وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين أبى الدرداء ولما تزور بعد ذلك زوج أبى الدرداء (أم الدرداء) أختها أميمة زوج سلمان تشعر أميمة أن ضيفتها لم تعن بنفسها وأن هيئتها تغيرت وتسألها عن السبب فتجيبها بأن زوجها لم يعد يرى فى النساء مأرباً فهو دائم الصوم نهاراً قائم يصلى ليلاً وتخبر زوجها سلمان الفارسى بذلك فيتفقان على أمر. يذهبان إلى أبى الدرداء ويطلبان الإقامة معهما ويرفض سلمان أن يأكل إلا إذا أكل معه أبو الدرداء ويكف عن صومه الدائم ثم يجعله ينام أول الليل ويقوم للتهجد بعد أن يأخذ حظه من النوم وتقوم أميمة زوج سلمان بمهمتها مع أم الدرداء فتصلح من شأنها وتجعلها تتزين وتتطيب ويضيق أبوالدرداء بتدخل سلمان وزوجه فى حياته فيحتكمان للرسول صلى الله عليه وسلم وتختم المسرحية بحديث أم الدرداء أن الرسول أقر سلمان على ما فعل مع صاحبه وقال قولته المشهورة (هلك المتنطعون)[3].

---

(١) علي أحمد باكثير- مجموعة (من فوق سبع سماوات) -المسرحية الأولي- مكتبة مصر.

(٢) حديث (هلك المتنطعون) -صحيح مسلم- المجلد الرابع- كتاب العلم - ص٢٠٥٥- دار إحياء الكتب العربية.

(٣) علي أحمد باكثير:مجموعة (من فوق سبع سماوات)-هلك المتنطعون- مكتبة مصر.

(الحائط القصير)

ثم نأتى إلى مسرحية (الحائط القصير) وهى تدور حول فكرة كثيرا ما يؤكد عليها باكثير ويمكنِ أن تصنف فكرتها حول عدل عمر بن عبد العزيز وتواضعه وزهده ويمكن أن تبين سماحة الإسلام مع المخالفين له فى الدين من أهل البلاد التى فتحها المسلمون فهذه مصرية تدعى (فرتونة) بشرتها سوداء وأخرى لها نفس الاسم ذات بشرة بيضاء وداراهما متجاورتان ولكل منهما حائط قصير يغرى اللصوص بسرقة دجاجهما ويقفز الدجاج من بيت إلى آخر وتسمع فرتونة السوداء عن عدل عمر بن عبد العزيز فتطلب من رجل قبطى يعرف العربية أن يكتب باسمها رسالة إلى الخليفة عمر ابن عبدالعزيز فى دمشق ليبنى لها حائطا يحميها من اللصوص ولا يجعل دجاج جارتها يقفز عندها وينفذ الكاتب (شنودة) ما طلبته منه وتعطيه درهمين ويصل خبر ذلك إلى جارتها فرتونة البيضاء فتظهر لها الشماتة وتؤكد لها أن الخليفة سيغضبه ذلك والويل لها مما فعلته ثم يأتى رسول الخليفة ومعه شرطى فتنكر المرأتان أنهما بعثتا برسالة كهذه ويخشى شنودة الذى كتب الرسالة بأن يصيبه أذى فقد يظن أنه فعل ذلك من تلقاء نفسه فيعترف بأن فرتونة السوداء هى التى طلبت منه ذلك وأعطته درهمين. وهنا يقرأ لهم رسول أمير المؤمنين الرسالة التالية:

"بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى فرتونة السوداء مولاة ذى أصبح. بلغنى كتابك وما ذكرت من قصر حائطك، وأنه يدخل عليك منه فيسرق دجاجك، فقد كتبت لك كتابا إلى أيوب بن شرحبيل آمره أن يبنى لك ذلك حتى يحصنه مما تخافين إن شاء الله والسلام".

وهنا تطلب فرتونة البيضاء أن يبنى حائط بيتها هى الأخرى ويستجيب لها رسول أمير المؤمنين فتقول التى بعثت بالرسالة إلى أمير المؤمنين: أنا التى دفعت درهمين لشنودة حينما كتب الرسالة. فيقضى رسول عمر بأن

تدفع لها الأخرى درهماً حتى يتساويا فى كل شئ[1].

(دار ابن لقمان)

ونأتى إلى نهاية المسرحيات التاريخية التى تبرز فكرة ما. فنصل إلى مسرحية (دار ابن لقمان) وهى تدور حول تلك الفترة التاريخية من صراع مصر مع الصليبين وتوضح ما قامت به شجرة الدر، والمماليك، ودور الشعب المصرى. ثم توفيق الله للمسلمين فى مصر على دحر الصليبيين ووقوع الفرنسيس أسيراً فى موقعة المنصورة. وتوضح المسرحية بطولة شجرة الدر وزوجها السلطان الذى كان يخطط ويدبر وهو فى مرض الموت، ثم براعة شجرة الدر فى إخفاء موته حتى لا يتسرب اليأس إلى قلوب الناس لو علموا بموت السلطان، ثم براعتها فى إدارة شئون البلاد وتنظيم المعركة حتى وصلت بالأمة إلى ذلك النصر العظيم.

وأهم فكرة فى مسرحية (دار ابن لقمان) إبراز الجوانب العظيمة فى الإسلام لدى تعامله مع المخالفين له فى الدين حال السلم وحال الحرب. ويتضح ذلك من خلال حديث الصليبيين مع أنفسهم حينما يرون البلاد التى يدخلونها وبها كنائس يتعبد فيها النصارى وتتساءل الفرنسية (جان) عجباً: هل يسمح هؤلاء الكفار- تعنى المسلمين- بأن تقوم بينهم كنيسة للمسيح؟ فتجيبها الملكة (مارجريت): بعض الكنائس فى هذه البلاد أقدم من كنائس روما نفسها.. المسلمون يا مونتيس (بواتيه) أوسع أفقاً منا وأكثر تسامحاً مع من لا يدين بدينهم... وهؤلاء يؤمنون بالسيد المسيح ويقدسونه ولا فرق بينه وبين نبيهم محمد[2].

وتستمر المسرحية- التى وردت مستقلة فى كتاب- موضحة إنسانية الإسلام من أفواه بعض الصليبيين غير المتعصبين حتى بعد أن انتصر المسلمون وعاملوهم بما يمليه عليهم الإسلام والفكرة الشامخة فى المسرحية هى عظمة الشريعة الإسلامية فى السلم والحرب.

---

(١) علي أحمد باكثير: مجموعة هكذا لقي الله عمر بن عبد العزيز) -الحائط القصير-مكتبة مصر.
(٢) علي أحمد باكثير:مجموعة دار ابن لقمان- ص٣٧ وما بعدها- مكتبة مصر.

ثانياً: المسرحيات الاجتماعية:

كان باكثير يعيش الحياة متجاوباً معها، مرهف الشعور بكل شئ فيها لا يقنع منها بالاستمتاع بها والأخذ منها، بل كان يغوص فى أعماقها محاولاً فهمها، يجتهد فى معرفة خباياها، يعمل ما أمكنه على حل رموزها وتوضيح ما غمض منها ثم يقوم بتبسيطها وشرحها فى أعماله الأدبية ومعظمها من خلال عالم المسرح فالحياة والأدب عنده قد صهرا فى بوتقة واحدة "فالحياة هى شعور تتملاه فى نفسك تتأمل آثاره فى الكون، وفى نفوس غيرك. والأدب هو ذلك الشعور ممثلاً فى القالب الذى يلائمه من الكلام"(١).

وأول ما يجعل الأديب يتألق شعوره انفعاله بالنماذج الاجتماعية من حوله. ومن هنا خاض باكثير غمار المجتمعات القديمة والحديثة وكان يلتقط الحدث الاجتماعي ويصوغه مسرحية.

إن بعض النفوس العظيمة أودعها الله خاصية التضحية بالنفس من أجل الآخرين وإنكار الذات لإسعاد من يحبون وكما أن هناك بشر يكون هناؤهم فى الأخذ كذلك هناك من تكون سعادتهم فى العطاء. ويأتى باكثير ليلتقط قصة من هذه القصص القديمة ويصوغها مسرحية مدعمة بالقيم الدينية، مفعمة بالشخصيات التى تمثلت القرآن وتخلقت به وعايشت روح الإسلام فاتخذته منهجاً لها .

(الخاتم)

من تلك القصص مسرحية (الخاتم) وتدور حول جانب من حياة الخليفة هارون الرشيد حينما كان مغرماً وهو شاب بركوب الخيل وبينما كان

---

(١)العقاد - مطالعات في الكتب والحياة- ص١٦- طبعة بيروت.

يتجول وحده منفرداً رأى فتاة فقيرة أمام كوخها فوقعت من نفسه وتزوجها دون أن يفصح لها عن شخصيته. ثم تتوالى الأحداث ويموت أبوه المهدى ويتقلد بعد ذلك الخلافة ويذهب متنكراً إلى زوجه الفقيرة (أمينة) ويصارحها بحقيقته ويخبرها بأنه سيأتى بها إلى القصر لتعيش معه ولكنها ترفض وتختفى من حياته ويبحث عنها بعد ذلك فلا يجدها وكانت هى حاملاً فى ابنه أحمد وتمر الأيام وهى بعيدة عن حياة الخليفة هارون هى وابنها. ويشب ابنها على الصلاح والتقوى. حفظ القرآن وجالس العلماء وتعلم مهنة بسيطة يعيش منها مهنة بناء يبنى بالطين لا بالحجر يعمل فى بيوت الناس بالأجرة. وتعترف له أمه قبل أن تموت بأن أباه الخليفة هارون الرشيد ويذهب أحمد إلى والده ليخبره بأنه ابنه من أمينة ويرحب به هارون ويبكى زوجه التى ضحت بهنائها ليعيش الرجل الذى أحبته فى هناء مع ابنة عمه زبيدة ويفكر هارون أن يجعل له ولاية العهد إلا أنه يرفض ويتجلى إيمان المسلم واضحاً جلياً من خلال ذلك الرافض أن يكون خليفة يوماً ما ويصارح والده بأنه جاءه فقط لينصحه بأن يسير فى الناس سيرة عمر بن عبد العزيز وكانت النتيجة أن أبى حياة القصور وعاد إلى المرأة الصالحة التى نشأ عندها هو وأمه ويذكر لها ما كان: إن أبى يا أماه لم يسمع لوعظى وإن رجال القصر كانوا جميعاً إلباً واحداً على وليس فيهم من يرجوا لله وقاراً. فتجيبه المرأة الصالحة: هون عليك يا بنى إن هذا الذى ابتغيته ليس بالأمر الهين وقد أديت أنت ما عليك من النصيحة لأبيك. فيجيبها: إنى خائف عليه يا أماه من مشهد يوم عظيم، ألا أستطيع يا أماه أن أصنع لأبى شيئاً؟ ألا أستطيع أن أنفعه بشئ؟.

ويقدم باكثير من خلال مسرحية (الخاتم) هذه صورة من المجتمع المسلم فى العصر العباسى الذى شاع عنه أنه كان عصر التهتك وذاع بين

الناس أن المجتمع بلغ غاية الدرجة فى الفساد والانحلال ولكن باكثير يعطينا صورة أخرى عن هذا المجتمع صورة حقيقية مستمدة من كتب التاريخ فها هو ابن هارون يرفض الملك ويعمل جصاصاً ويقوم الليل ويتصدق كل يوم بما يتبقى عنده من أجر يومه ويجهر بأن خير المال ما جاء من كسب اليد وأفضل الأعمال الصالحة الصدقة. ويظل كذلك إلى أن مات. وقبل أن يموت يعطى الخاتم لصديق له يذهب إلى بغداد يوم ركوب الخليفة هارون ويصيح به من وسط الناس ويشير إليه بالخاتم ذلك الذى كان هارون قد أعطاه لأم أحمد وهو الذى كان سبباً فى تعرفه عليه يوم أن أراه إياه ليكون دليلاً على أنه ابنه واليوم يرسل بالخاتم لتصل إلى هارون رسالة ابنه وينفذ صديقه ما أوصاه به وينادى الصديق على هارون: يا أمير المؤمنين عندى وديعة لك. حتى إذا التفت إليه يريه الخاتم ويقول: كلفت بتسليم هذا إليك. ويأخذه هارون إلى القصر ويطلب منه أن يحدثه بكل ما كان من صاحب الخاتم ابنه أحمد فيتحرج ثم يشجعه على أن يبوح بما يريد فيخبره بأنه طلب إبلاغك تلك العبارات: ويحك لا تموتن على سكرتك هذه فإنك إذا مت على سكرتك هذه ندمت وطال ندمك يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم. ويبكى هارون ثم يذهب إلى البصرة لزيارة قبر ابنه وقبر أمه(١).

(حارس البستان)

وكما عرض باكثير فى مسرحياته الاجتماعية صورة النسك مقابل صورة التهتك فى مجتمع بغداد إبان العصر العباسى أوضح لنا صورة لمجتمع الصوفية من خلال مسرحيته (حارس البستان) وفيها يأتى بشخصية صوفي مشهور هو إبراهيم بن أدهم يلتقى صدفة بالقرب من مدينة بلخ

---

(١) علي أحمد باكثير: مجموعة (من فوق سبع سماوات) - مسرحية الخاتم - مكتبة مصر.

بصوفى آخر ليس أقل منه شهرة هو شقيق البلخى ويتعارفان ويذكر الأول للثانى أنه يبحث عن عمل. وهنا ومضة مهمة فى المسرحية تبين أن الصوفية لم يكونوا عالة على الآخرين بل كانوا أعضاء نافعين للمجتمع يعملون وينتجون ولكن القطبين الصوفيين يتحاوران بهذا الحوار:

إبراهيم: سمعت من بعض الصالحين أن المرء إذا أخلص سريرته تقبل الله منه ووفقه.

شقيق: هذا حق نسأل الله أن يرزقنا الإخلاص.

...

شقيق: هل لى أن أسألك؟

إبراهيم: تريد أن تمتحننى؟

شقيق: إذا أذنت.

إبراهيم: أفعل.

شقيق: ماذا ترى فى مقامى الشكر والصبر؟

إبراهيم: هل لى أن أسمع رأيك أولاً؟

شقيق: إنا إن وجدنا شكرنا وإن لم نجد صبرنا.

إبراهيم: يا أخى هكذا كلاب بلخ إن وجدت شكرت وإن لم تجد صبرت.

شقيق: فماذا تقول أنت؟

إبراهيم: إنا إن وجدنا آثرنا وإن لم نجد شكرنا.

شقيق: الله الله أنت الضالة التى أنشدها الحمد لله إذ هدانى إليك أنت إبراهيم بن أدهم.

ويأخذ شقيق بيد إبراهيم بن أدهم إلى صاحب بستان ليعمل حارساً عنده على البستان (ناطوراً) على حد تعبير المسرحية. وتأتى إليه امرأة مسكينة تطلب منه شيئاً من الفاكهة لأنها جائعة هى وأبناؤها اليتامى فيعطيها ثم يقتطع من أجره درهماً ونصفاً يعطيه لوكيل صاحب البستان ثمنا للفاكهة التى أعطاها للمرأة دون أن يقول أعطيتها لمسكينة أو يقول أكلتها. كل ما قاله: أخذت فاكهة بما قيمته درهم ونصف. ثم تأتى زوج صاحب البستان مع صويحبات لها وتطلب منه أن يحضر لهن فاكهة فيحضر ما أمرته به ويكتشف النسوة أنه أتى بفاكهة حامضة فتؤنبه فيدافع عن نفسه بأنه لم يذق شيئاً من البستان قبل ذلك فكيف يعرف الحلو من الحامض فيتهمنه بالكذب لأنه دفع ثمن ما أخذه قبل ذلك ويطرد إبراهيم بن أدهم من العمل ويأتى شقيق ليسأل عنه فيخبره وكيل صاحب البستان بأنه رجل كاذب يريد أن يظهر بمظهر الصلاح فيعطيهم مالاً من أجره على أنه ثمن فاكهة أخذها ثم هو يأتى بفاكهة حامضة ويقول لم أذق شيئاً من البستان فكيف يستقيم هذا؟ وما إن يتم كلامه حتى تظهر المرأة المسكينة وتسأل عن الرجل الذى اعتاد أن يعطيها فاكهة ولولا ما يعطيه لها لهلكت جوعاً هى وأولادها فتتضح الحقيقة ويعرف شقيق وكيل صاحب البستان أن الرجل الذى اتهموه وطردوه هو إبراهيم بن أدهم فيذهل ويقول لصاحبه؟ لماذا لم تخبرنى باسمه؟ فطالما سمعت عن هذا الرجل الصالح. فيجيبه: لو أخبرتك بشخصه لما رضى أن يعمل لأنه منذ تسامع الناس بصلاحه وتقواه يجتهد فى إخفاء شخصيته إذ لا يحب أن يغتر الناس به(١).

(همام فى بلاد الأحقاف)

وأهم ما كان يشغل بال باكثير مجتمع أهله فى بلده حضرموت لذلك كان أول اهتمامه بالمجتمع تلك المسرحية الشعرية التى نظمها ناعياً فيها

(١) علي أحمد باكثير:مجموعة (من فوق سبع سماوات)–حارس البستان– مكتبة مصر.

حال وطنه هناك وسماها (همام في بلاد الأحقاف). وهو يعترف بأن تسميتها مسرحية من باب التجوز لأنها تبعد عن المسرحية في حقيقتها فما هي إلا خطرات نفسية صاغها شعراً فيه أخذ ورد بين بعض الشخصيات وهو يحكي عن الظروف التي دعته إلى تأليفها فيقول: "كنت إذ ذاك ممتلئاً بالثورة على ما كان عليه حال بلدي حضرموت من التخلف عن ركب الحضارة والتأخر في كل ميدان من ميادين الحياة وبالسخط على الأوضاع الاجتماعية السائدة هناك"(١).

وكان كل همه أن يبرز بعض الأخطاء السائدة في مجتمعه فهو ينادي بتعليم الفتاة إذ يقول لأخته:

صار فرضاً عليك أن تنشري هـ	ذا الهدى في جماعة النسوان
فهدي الشعب من هدي أمها	ت الشعب في كل موطن وزمان(٢)

...

ثم هو ينعى على طريقة التعليم في بلاده فيقف خطيباً في المدرسة:

إن برنامج تدريسكم	ليس برنامج قوم مرتقين
ترهقون النشء بالحفظ فمن	حفظ تقرير إلى حفظ متون(٣)

وهو ينعى على الناس هناك انغماسهم في الخرافات فهم يتبعون أناساً دجالين يسمونهم بالأولياء يقودون المجتمع إلى الجهل والناس مفتونون بهم حتى بعد الموت:

---

(١) علي أحمد باكثير: فن المسرحية من خلال تجاربي الشخصية ص٦- مكتبة مصر.
(٢) علي أحمد باكثير: همام في بلاد الأحقاف ص١٤- مكتبة مصر.
(٣) علي أحمد باكثير: همام في بلاد الأحقاف- ص١٨- مكتبة مصر.

يصيحون ولي الله جئنناك إلى القبر
أتيناك لكي تحمل عنا ثقل الوزر[1]

والنساء في حضرموت جاهلات حتى بأداء الفريضة وكل حظهن من الدين الطهر والعفة فقط فبطل المسرحية همام ينادي:

همام: عامر قم بنا لنصلي فرضنا

(يلتفت للنسوة) وقمن أنتن فهيئن الوضوء

وقمن صلين جميعاً خلفنا

ناهية تجيبه: ويحك هل على النساء مفترض؟

لا نعرف الصلاة هل تريدنا مثل الرجال للصلاة ننهض
حسب الفتاة عندنا استقامة بأن تصوم الشهر إذ ترمض[2]

حتى العقيدة كان باكثير يراها لدى قومه فى حاجة إلى تقويم فهم يحلفون بالنبى وهو ينهاهم عن ذلك.

عامر: لا والنبى المصطفى المختار

همام: ويحك لا تحلف بغير الباري

فإنه نوع من الإشراك بخالق الأكوان والأفلاك
وقد نهانا عنه سيد البشر أليس في قول الرسول مزدجر[3]

(١) علي أحمد باكثير: همام في بلاد الأحقاف- ص٣٥- مكتبة مصر.
(٢) علي أحمد باكثير همام في بلاد الأحقاف- ص٧٦- مكتبة مصر.
(٣) علي أحمد باكثير همام في بلاد الأحقاف- ص٧٩- مكتبة مصر.

(قصر الهودج)

وتأتى لباكثير مسرحية شعرية أخرى أكثر نضجاً من (همام) وهى مسرحية (قصر الهودج) وتحكى قصة فتاة من البادية رآها الخليفة الفاطمى (الآمر بالله) وهو متنكر فأحبها ثم تنكر فى رسول جاء يخطبها للخليفة ولم يملك والدها إلا الإذعان والرؤى الإسلامية بها قليلة تبدو فى رفض الفتاة للخليفة حتى لا تخون عهد ابن عمها.

ثم فى حفاظ الفتاة على الفضيلة والشرف لإرضاء ربها[1].

ولما يتزوج الخليفة سلمى الفتاة البدوية ويشعر بحبها لابن عمها يطلقها دون أن يخبر أحداً ويطلب ابن عمها وأباها ويخبرهما أنه طلقها ويطلب من أبيها أن يزوجها ابن عمها ثم لا نجد حساً للإسلام فى هذه المسرحية سوى بعض العبارات التى اعتاد الناس ترديدها كقول:

والد الفتاة: أيد الرحمن مولانا الخليفة

فترد عليه سلمى ابنته: حفظ الرحمن مولانا الملك[2].

(السلسلة والغفران)

ثم نصل إلى آخر المسرحيات التى أنتجها باكثير فى الميدان الاجتماعى من خلال نظرته الإسلامية وهى مسرحية (السلسلة والغفران) وتدور أحداثها إبان حكم أحمد ابن طولون فى مصر. وبطل المسرحية عبدالتواب رجل فاضل خلقه إسلامى وحياته كلها مستمدة من القرآن ملازم للمسجد أنعم الله عليه بنعمة الثراء من تجارته الواسعة وهو كثير الزكاة

(١) علي أحمد باكثير: قصر الهودج- ص٣٤- مكتبة مصر.

(٢) علي أحمد باكثير: قصر الهودج- ص٧٩- مكتبة مصر.

يشمل عطاؤه كل من حوله من أقاربه وغير أقاربه وهو يربى بنات أخته اليتامى ويزوجهن الواحدة بعد الأخرى ويجهزهن من ماله برضى وسخاء. وله جارية كبيرة السن تتفانى فى خدمته لحدبه عليها وشفقته بها وهى دائماً تذكر محاسنه المتعددة وتؤكد أنها لن تجد خيراً منه راعياً لها. ثم هو يبر إخوانه التجار ويقف معهم ينصحهم بإخلاص ويتمنى لهم الخير ويساند من تعوزه الظروف لمساندته وله صديق حبسه الدائنون استيفاء لديونهم ولقد ماتت زوج صديقه هذا وهو فى السجن وأشاع الناس أن سبب موتها أنها حملت بعد دخول زوجها السجن ولو ولدت واطلع الناس على ذلك لكانت كارثة فسيعلم الناس ويعرف زوجها أنها قد أعطت نفسها للشيطان وعرفت شخصا آخر. لذلك حاولت أن تجهض نفسها فأدى بها ذلك إلى الموت. لقد أشاع الناس أن ذلك سبب موتها لكن عبد التواب الرجل المؤمن التقى الورع ينفى ذلك ويدافع عن زوج صديقه التى ماتت ويظل يرعى شؤون بيت صديقه قاسم السجين. يرعى أولاده الذين يعيشون مع جدتهم لأمهم التى توفيت ويظل دائم التردد على بيت صديقه مدافعا عن عرضه أمام الناس إلى أن يخرج من السجن ويأتى صديقه إليه شاكراً مكسور النفس بسبب موت زوجه ويطلب من عبد التواب مبلغ مائتى دينار ليبدأ بها تجارته ثم يردها إليه مع ما سبق أن تفضل به عليه. ولكن عبد التواب ليس يملك مالا فى الوقت الحاضر غير أن أريحيته تدفعه لأن يحضر له صندوقا من الحلى كان يحتفظ به ليوم كهذا وثمن الحلى ألفا دينار. ويتردد قاسم فى قبول هذا الكرم الزائد عن الحد من صديقه فيشجعه بأن يأخذ المال مضاربة بينهما شركة بين الصديقين.

ثم يتزوج عبد التواب بعد ذلك من كوثر وهى فتاة مدللة تنام بعد

زواجها منه فى غرفة منفصلة وتقول إنها ستظل كذلك حتى تألف نفسها ذلك الزوج الجديد وتحس أنها يمكن أن تعيش الحياة الزوجية وهى التى نشأها أهلها بعيدة تماما عن فكرة الزواج. ثم هى تخرج كل يوم لزيارة بيت أبيها وتعود. كل ذلك وعبد التواب صابر عليها يدافع عنها أمام أخته وبناتها وأمام جاريته والكل فى أسى من أجله إلا أن المسرحية تظهره من خلال خلقه الإسلامى راضيا يلتمس العذر لكل الناس ويشكر الله دائما ويلزم صلاة الجماعة.

ثم يتغير المشهد وتأتى أم مستور حماة صديقه قاسم ويدور حوار بينها وبين عبد التواب على انفراد نفهم منه أنها تعنفه وتوبخه وتطلعنا على جانب آخر من حياة عبد التواب كان خافيا حتى الآن إذ بينما كان يرعى بيت صديقه قاسم وهو فى السجن واعتاد التردد على بيته قد ذهب مرة ولم تكن أم مستور حماة صديقه هناك والأطفال الصغار نيام فنشط الشيطان بينه وبين زوج صديقه ثم يتكرر اللقاء المحرم حتى تحمل وتطلع أمها على ما كان فالفترة التى مضت على زوجها فى السجن تبين أن الحمل من آخر وليس منه وتعمل أمها على تلاشى الفضيحة فتلجأ إلى الطرق البدائية لإسقاط جنين ابنتها فيتسبب هذا فى موتها. ويطلعنا الحوار على هذا السر من خلال تقريع أم مستور لعبد التواب وهو يتلطف معها ويؤكد لها أن ذلك حدث فى لحظات ضعف ما كان يدور بخلده يوما ما أنها ستحدث وبخاصة أنه نشأ على الصلاح والتقوى ويؤكد للمرأة أنه لم يهنأ منذ موت ابنتها وأنه لم يزل فى تأنيب الضمير وأنه دائم الاستغفار وأم مستور تقول له: أتحسب عطاياك وهداياك تنسينى حياة غيداء التى قضت نحبها وهى تنوء بخزيك وعارك؟ آه لولا خشية الفضيحة لأعلنت أمرك فى الناس ولأخبرت أخاها وزوجها فانتقما منك. ولكن انتظر الله هو الذى سينتقم منك وسيكون انتقامه

عظيما[1].

يحدث ذلك المشهد وهو ذاهب للشام ليتفقد تجارته التى يشرف عليها هناك صديقه قاسم ثم يترك زوجه المدللة كما هى عذراء دون أن يقربها صابرا عليها حتى تتهيأ نفسيتها لحياته الزوجية معها ولعل ذلك يحدث بعد أن يبتعد عنها الفترة القادمة ثم يعود. ويعود عبد التواب من الشام ليجد زوجه فى بيت أبيها متعللة بالمرض وكلما زارها يراها تلف نفسها بالأغطية وأهلها يقولون له إنها مريضة بعرق النسا ولقد أحضروا لها طبيبة ماهرة أمرتهم بأن تظل عدة شهور وهم محكمون الغطاء عليها ليتم الشفاء. وتأتى أم مستور والدة غيداء التى ماتت وهى تجهضها حتى لا تفتضح علاقتها بعبدالتواب ويتيقظ حقدها عليه فتذكر له أن امرأته اعتادت أن تزورها فى بيتها وحدها حينما كان غائبا فى الشام وأحيانا يتزامن حضورها وهى غائبة عن البيت فيفتح لها ابنها مستور ويجالسها حتى تأتى أمه من الخارج ثم كان بينهما الشيطان. لذلك زوجه التى لم يمسها حامل فى شهرها السابع من مستور ابن أم مستور. وتذكر له أن ابنها سيتزوج من أخت قاسم الذى كان زوجا لأخته التى ماتت وهو فى السجن ويتماسك عبد التواب أمام شماتة أم مستور.

ويطلع شقيقته آسية التى احتضنها وربى بناتها على ما حدث من كوثر وترتاع أخته ويقسم عبد التواب لوالد زوجه أنه لابد أن يأخذ كوثر إلى بيته ليمرضها هناك ويوافق أبوها وترفض أمها ويتشاجران وهنا تصيح كوثر أمام الجميع بلا وعى: إنى حامل. ويصاب الجميع بما يشبه فقدان الإدراك ثم تبكى وتعترف لزوجها فيبكى هو الآخر ويصيح: السلسلة

---

(١) علي أحمد باكثير: السلسلة والغفران ص٦٢- مكتبة مصر.

السلسلة. ثم يتعهد للجميع بأنه سيستر عليها وستلد فى بيته وسيربى من يخرج إلى الحياة وكأنه ابنه وكان مستور قد تزوج من شقيقة قاسم ودفعته الظروف ليسافر مع الجيش وهو متأكد أن زوجه لم تحمل بعد حتى سفره ويعود فجأة فيرى امرأته حبلى فتنتابه حالة من الهياج فيقتلها ويثور بركان الحقد فى نفس أم مستور على عبد التواب فتأتى إليه وتبدأ فى الحديث معه بصوت مرتفع فقد صممت على أن تفضح عبد التواب إذ كيف تصرف برزانة وتعقل مع ما علمه من امرأته وكيف أضاع ابنها نفسه بما فعل وها هى قد عزمت على أن تهتك الستر ولكن عبد التواب يناقشها بالحسنى ويتلطف معها من أجا ابنتها التى ماتت حتى لا تلوكها الألسنة فى قبرها وبعد أخذ ورد تستلم المرأة وترضى بالسكوت. ثم يقول عبد التواب: هذه سلسلة الخطيئة انتظمتنا جميعا ولا يقطع السلسلة إلا الغفران. وحينما يدخل عبد الجواد شقيق عبد التواب يعاود المرأة الهياج وتصرخ مخبرة له بكل شئ ولما كان هو طامعا فى مال أخيه يرى أنه لابد من إعلان كل شئ حتى لا يرث الغلام شيئا من مال أخيه ويرث هو نصيب الغلام. ويعود الحوار من جديد حتى يقتنع الجميع بالستر ويتعاهدون على ذلك وعبد التواب لا يفتأ يردد: إلى متى يا ربى تضطرد هذه السلسلة.

ويكون المشهد الأخير وعبد التواب فى مرض الموت يرسل إلى القاضى معترفاً له بكل شئ، ويستفتيه فى حكم الشرع فيجيب القاضى: إن الغلام يرثك لأن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (الولد للفراش وللعاهر الحجر) ويرسل لأم مستور يطلب منها أن تسامحه، وكذلك يفعل مع صديقه قاسم يعترف له بما كان منه مع امرأته ويسأله المغفرة فيسامحه. ثم يوصى أخته وزوجه بالغلام الذى يعتبره ابنه، وكذلك بابنته التى أنجبها بعد ذلك من كوثر

ويكون آخر شئ فى المسرحية قوله وهو يحتضر: يا بشراى اليوم سألقاك يا ربى راضيا مرضيا. أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. اللهم اغفر لى ما أعلم وما لا أعلم، اللهم اغفر للذين أسأت إليهم وللذين أساءوا إلى. اللهم افصم بغفرانك سلاسل الخطايا من أعناق عبادك أجمعين. (ثم يسدل ستار الختام)[1].

تعقيب:

بهذه المسرحية التى وردت مستقلة فى كتاب بأكمله تنتهى المسرحيات الاجتماعية التى تلوح من خلالها القيم الإسلامية وإن كانت له مسرحيات كثيرة لا يمكننا أن نتكلف لنرى فيها تيارا إسلاميا.

أما المسرحيات السابقة فقد وردت ضمن مجموعة بعضها مع مجموعة (هكذا لقى الله عمر بن عبد العزيز) وبعضها ضمن مجموعة (من فوق سبع سماوات) وعلى الرغم من أن المسرحية الشعرية (همام فى بلاد الأحقاف) وكذلك (قصر الهودج) قد وردت كل منهما أيضا فى كتاب إلا أن أيا منهما لا تدانى مسرحية (السلسلة) لا فى الطول ولا فى حبكة الأحداث وتشعبها وتصاعدها وتعقدها حتى وصلت إلى ذروة العقدة ثم كان فى النهاية الحل ومن خلال عرضنا للمسرحية يتراءى لنا الشر يصول ويجول فى المجتمع والرذيلة تطل مرة بعد أخرى إلا أنها على الرغم من ذلك مفعمة باللمسات الدينية التى تكافح الشر، وبالقيم الإسلامية التى تعالج الرذيلة. وليس معنى إبراز المؤلف لصورة سيئة فى المجتمع أنه يدعو إلى التأسى بهذا الخلق "فالمسرحيات والقصص- منذ نضوجها فنيا- ليست عرضا صريحا للرذيلة

---

(١) علي أحمد باكثير: السلسلة والغفران- مكتبة مصر.

وإلا انقلبت مواعظ وفقدت قيمتها الفنية وأثرها وهى فى جوهرها- حتى عند الكلاسيكيين- معاناة للواقع فى الموقف الإنسانى. ومنذ الرومانتيكيين ثم على الأخص منذ الواقعيين على اختلاف اتجاهاتهم أوغل الكتاب فى المعنى اللاخلقى أو المضاد للخلق على أنه- مادام تصويرا صادقا متكاملا- لابد أن يشف عن معان خلقية من وراء الصور اللاخلقية أو المضادة للخلق فى معنى الخلق الصريح المباشر. ولم يقل أحد من النقاد بعرض الشر إغراء به أو إشادة بشأنه"(١).

إذن كان المقصود من التصريح بالضعف البشرى تقوية الإنسان، والهدف من إلقاء الضوء على أمراض المجتمع هو علاجها. فتشخيص الأدواء لم يأت إلا لتخليص الناس من شرورها فالمرء قبل أن يقدم على الخطأ عليه أن يوقن بانتقام الله ممن يؤذى غيره وإن غلبته نفسه واتجهت به نحو الخطيئة عليه أن يتذكر عرضه حتى لا يصاب بمثل ما سيصيب به الآخرين لذلك كان بطل المسرحية وقد استجاب للحظة الضعف يدرك أن نتيجة ذلك ستؤدى إلى سلسلة من الأخطاء المشابهة ستحل به لذلك على الرغم من أنه لزم الاستغفار كان على ثقة من أن عدالة السماء لن تتركه يفلت من العقاب ولذا التزم الخلق الإسلامى فى تكفيره وستره على الآخرين واللجوء إلى الحل الإسلامى بسؤاله القاضى عن رأى الشرع فى توريثه الغلام ثم جنوحه إلى الهدوء قبل الموت لإحساسه بمراضاة ربه.

إلا أن الشئ الذى يمكن أن نسائل باكثير عنه: هل من الشرع أن يعترف لصديقه بخيانته له مع امرأته؟ لا أعتقد أن الدين يطالبه بهذا على أى حال لقد أراح هذا الاعتراف نفسه وانتهى الأمر بغفران صديقه له.

(١) د/ محمد غنيمي هلال- المواقف الأدبية- ص٥٩- معهد الدراسات العربية.

والمسرحيات الاجتماعية لباكثير كثيرة متنوعة تتناول قضايا متعددة في المجتمع لكنا لا نجد فيها نظرات إسلامية تتراءى واضحة من خلال معالجته لتلك القضايا مما يجعلنا ونحن بصدد الحديث عن التيار الإسلامي في مسرح باكثير لا نرى فيها الأثر الإسلامي الفعال الذي يجعلنا نحس من خلاله عظمة الإسلام أو أثره الواضح في علاج المجتمع وليس معنى ذلك خلوها تماما من أي معنى خلقي بل الهدف من قولنا أن المعاني الأخلاقية التي وردت في باقي المسرحيات هي من الأشياء المتعارف عليها لدى الكثير من المجتمعات الإسلامية أو غيرها. وإذا كنا نلمس أحيانا استشهاده بآية قرآنية أوحديث شريف فإن هذا لا يكفي شاهدا على وجود الأثر الإسلامي فقد يذكر الآية أو الحديث شخص لا يقصد الهدف الديني بقدر ما يهدف إلى سبكه للحوار أو لباقته في الكلام. ومن العدالة أن نبين خلو مسرحيات باكثير من التهتك والدعوى إلى الانحلال أو التفوه بألفاظ تنافي الحياء أو تتعارض مع العقيدة الإسلامية أو الخلق الديني القويم.

ثالثا: المسرحيات الفلسفية:

بقيت لدينا فى مسرح باكثير الإسلامى المسرحيات الفلسفية وهى فى مجملها تمثل جانبا لا بأس به من مسرحياته على وجه العموم إلا أن المسرحيات الفلسفية التى تتعانق فيها الفكرة الإسلامية مع سير الأحداث قليلة العدد بالقياس إلى المسرحيات التى تقوم على نظرة فلسفية بحتة دون تدخل المنظور الإسلامي فى أفكارها من ذلك مسرحية (شهرزاد) التى تدور حول أن شهريار لم يقتل امرأته لأنها تخونه مع العبد بل هو الذى لفق قصة الخيانة هذه ليدارى ضعفه الجنسى أمام النساء ولقد عرفت شهرزاد ذلك فقامت بمعالجة ذلك النقص وفك عقدته تلك(١).

وكذلك مسرحية (مسمار جحا) ومسرحية (شيلوك الجديد) ومسرحية (مأساة أوديب) وقد لا نجد فى المسرحيات الفلسفية مسرحية بها منظور إسلامي سوى مسرحيتين (سر الحاكم بأمر الله) و (هاروت وماروت) أما الأولى فهو فيها قد نظر إلى أن شخصية الحاكم بأمر الله الخليفة الفاطمى الذى اتهم بالجنون لم يكن مجنونا بل كان رجلا متصوفا اندمج مع التصوف والحب الإلهى حتى تاقت نفسه إلى مقام روحى كبير فعمد إلى جميع مظاهر الضعف الإنسانى فيه من خوف وعجز وكسل وحرص وشهوة وكبر فاقتلعها من نفسه بعزيمة جبارة لا تعرف الخوف أو التراجع ولما لم يصل إلى مبتغاه فالإنسان يجب أن يظل إنسانا نراه قد سأل الله أن يريحه من هذا الصراع وحينما علم أن أخته (ست الملك) قد دبرت قتله عندما يخرج إلى خلوته فى المقطم أمسى فرحا بذلك وأعطاها هذه الفرصة وخرج تاركا نفسه لهذه المؤامرة حتى يقتل ويستريح وقد كان(٢).

ولربما حيرة الحاكم بأمر الله لدى باكثير هى التى أوحت لسمير

---

(١) د/ عز الدين إسماعيل- قضايا الإنسان في الأدب المسرحي المعاصر- ص٢٥٥ وما بعدها- دار الفكر العربي.

(٢) علي أحمد باكثير: سر الحاكم بأمر الله- مكتبة مصر. وأيضا انظر: علي أحمد باكثير: المسرحية من خلال تجاربي الشخصية- مكتبة مصر.

سرحان بفكرة الحيرة عند الحاكم فى مسرحية (ست الملك) شقيقة الخليفة الفاطمى، وهو عند سمير سرحان يبحث عن اليقين الذى يهتدى به فى الحكم فكل من حوله يضلله وهو يبحث عن اليقين[1]. وكان آخر ما أنطقه به سمير سرحان: اذكروا رجلا كان يريد فلم يستطع أن يحقق شيئا[2].

أما المسرحية الفلسفية الأخرى ذات الملامح الإسلامية فهى مسرحية (هاروت وماروت) وقد لا تتفق نظرته فيها مع المنظور الإسلامى الدقيق حيث نراه وقد جعل الملائكة تضج بخطايا الإنسان كما قالوا فى القرآن الكريم (**وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إنى أعلم ما لا تعلمون**)[3]. فأراد الله سبحانه وتعالى أن يثبت لهم خطأ نظرتهم فانتدبت الملائكة من إخوانهم هاروت وماروت وعزرائيل لينزلوا إلى الأرض بعد أن ركب الله فيهم كل غرائز الإنسان وجعلهم يتعرضون لمثل ما تعرض له الإنسان من إغراءات ثم ينظر ماذا يكون من أمرهم[4]. وبعد أن صار هاروت وماروت إنسانين سلكا مسلكا خاطئا مما جعل الله يبعث بنقمته على بابل حيث كان هاروت وماروت يعيشان. وقد رأى المؤرخ المسرحى الكبير الدكتور/ على الراعى أن المسرحية تجرى مقارنة بين الإنسان والملائكة لترجح كفة الإنسان[5].

وأمثال هذه الأشياء ينبغى الابتعاد عنها فتجنبها أفضل وربما لمن يريد النقاش ألا يرى فيها خروجا عن الدين ولكنا نرى السلامة فى عدم الخوض فى مثل هذه الموضوعات وللأدب ميادين كثيرة لا تحصى لمن يريد الإبداع بعيدا عن تصور عالم الملائكة.

---

(١) د/ سمير سرحان- مسرحية ست الملك- الهيئة المصرية العامة للكتاب.
(٢) المرجع السابق ص١٣٣.
(٣) الآية ٣٠ من سورة البقرة.
(٤) علي أحمد باكثير: هاروت وماروت- مكتبة مصر.
(٥) د/ علي الراعي- المسرح في الوطن العربي- ص٤١٠- سلسلة عالم المعرفة- الكويت.

الخاتمة:

موضوع البحث هو التيار الإسلامى فى مسرح على أحمد باكثير وقد بدأ البحث بمقدمة حول الطريقة التى جادت بها موهبة باكثير حينما غاص فى أعماق التاريخ الإسلامى واستخرج منه تلك المسرحيات الرائعة التى ضمها ثلاثة مجلدات مسماة (الملحمة الإسلامية الكبرى- عمر) وكثيرا ما قرأنا قصائد عصماء تمجد التاريخ الإسلامى وبخاصة فى العصر الحديث كبعض قصائد شوقى مثل: ذكرى المولد النبوى، ونهج البردة، والقصيدة العمرية لحافظ إبراهيم، والعلوية لمحمد عبد المطلب، والإلياذة لأحمد محرم. لكن التاريخ الإسلامى كان بحاجة لإبرازه بطريقة أدبية أخرى غير الشعر فكان على أحمد باكثير إذ "من أشهر النظريات الأدبية أن أحد الفوارق المهمة بين الشعر والمسرح يتصل بنظرة الفنان إلى الوجود: فالفنان الذى يرى الحياة فى إطار اصطراع عناصر ما تفتأ تصطرع- تجمع لتفترق وتفترق لتجتمع- يميل إلى المسرح... أما الاصطراع فيعنى رؤية النوازع الحيوية فى الكون فى حالة حركة دائمة فكل موجود له إرادة وتفرد وهو يحيا أيا كان موقعه على سلم الموجودات بفضل هذه الإرادة وهذا التفرد"(١).

وطالما هناك فنان يرى الحياة هكذا فيهرع إلى المسرح فهناك قارئ بنفس الصفة لكنه ليست لديه موهبة التأليف فهو إذن فى حاجة لمن يؤلف من أجله ويشبع فيه الحاسة الأدبية من خلال المسرح فأمسى اتجاه باكثير هذا موفقا غاية التوفيق لأن "المعيار الرئيسى لتقويم الإبداع هو أن يكون النتاج فيه جديدا وأصيلا وذا قيمة للمجتمع فى الوقت ذاته"(٢).

---

(١) د/ محمد عناني- الشعر والتاريخ في المسرح- ص١٣- مكتبة الأسرة.

(٢) الكسندر روشكا- الإبداع العام والخاص- ترجمة الدكتور/ غسان عبد الحي أبو فخر- ص٣٢- سلسلة عالم المعرفة- الكويت.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

* المسرحيات التي وردت ضمن الملحمة الإسلامية حسب ترتيبها في المجلدات الثلاثة:

١- على أسوار دمشق.
٢- معركة الجسر.
٣- كسرى وقيصر.
٤- أبطال اليرموك.
٥- تراب من أرض فارس.
٦- رستم.
٧- أبطال القادسية.
٨- مقاليد بيت المقدس.
٩- صلاة فى الإيوان.
١٠- مكيدة من هرقل.
١١- عمر وخالد.
١٢- سر المقوقس.
١٣- عام الرمادة.
١٤- حديث الهرمزان.
١٥- شطا وأرمانوسة.
١٦- الولاة والرعية.
١٧- فتح الفتوح.
١٨- القوى الأمين.
١٩- غروب شمس.

- ثم باقي المسرحيات والكتب:

٢٠- دار ابن لقمان.

٢١- سر الحاكم بأمر الله.

٢٢- سر شهرزاد.

٢٣- السلسلة والغفران.

٢٤- شيلوك الجديد.

٢٥- قصر الهودج.

٢٦- مأساة أوديب.

٢٧- المسرحية من خلال تجاربى الشخصية.

٢٨- مسمار جحا.

٢٩- من فوق سبع سماوات.

٣٠- هاروت وماروت.

٣١- هكذا لقى الله عمر بن عبد العزيز.

٣٢- همام فى بلاد الأحقاف.

* الدوريات:

١- أبوللو.

٢- البلاغ.

٣- الرسالة.

ثانيا: المراجع:

١- أحمد السموحي: على أحمد باكثير حياته وشعره الوطني- نادي جدة الأدبي.

٢- الكسندر روشكا: الإبداع العام والخاص- ترجمة الدكتور/ غسان عبد الحي أبو فخر- سلسلة عالم المعرفة -الكويت.

٣- الحافظ ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة- دار الكتب العلمية- بيروت.

٤- الحافظ ابن كثير الدمشقي: تفسير القرآن العظيم.

٥- أنيس المقدسي: الفنون الأدبية وأعلامها- دار العلم للملايين.

٦- توفيق الحكيم: فن الأدب- مكتبة الآداب.

٧- جبور عبد النور: المعجم الأدبي- دار العلم للملايين.

٨- ديفيد ديتش: مناهج النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق- ترجمة الدكتور/ محمد يوسف نجم- مؤسسة فرنكلين.

٩- د/ سمير سرحان: ست الملك (مسرحية)- الهيئة المصرية العامة للكتاب.

١٠- د/ شوقي ضيف: في التراث والشعر واللغة- دار المعرفة.

١١- عباس العقاد: الله- مطبوعات مكتبة الأسرة.

١٢- عباس العقاد: مطالعات في الكتب والحياة- طبعة بيروت.

١٣- د/ عز الدين إسماعيل: قضايا الإنسان في الأدب المسرحي المعاصر- دار الفكر العربي.

١٤- د/ على الراعي: المسرح في الوطن العربي- سلسلة عالم المعرفة- الكويت.

١٥- عمر الدسوقي: فى الأدب الحديث- دار الفكر العربى.

١٦- عمر الدسوقي: المسرحية نشأتها وتاريخها وأصولها- الطبعة الثانية.

١٧- د/ محمد عناني: الشعر والتاريخ فى المسرح- مكتبة الأسرة.

١٨- د/ محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن- الطبعة الثالثة.

١٩- د/ محمد غنيمى هلال: المواقف الأدبية- القاهرة- معهد الدراسات العربية.

٢٠- د/ محمد غنيمي هلال: النقد الأدبى الحديث- دار العودة- بيروت.

٢١- د/ محمد الكتاني: الصراع بين القديم والجديد والأدب العربي الحديث.

٢٢- د/ محمد محمد حسين: الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر- الطبعة الثالثة.

٢٣- محمد مصطفى هدارة: دراسات فى الشعر العربى الحديث- الطبعة الثانية- دار المعرفة الجامعية.

٢٤- د/ محمد موافى: المسرح بعد شوقى- النادى الأدبى بالمدينة المنورة.

٢٥- مسلم بن الحجاج النيسابورى: صحيح مسلم- المجلد الرابع- دار إحياء الكتب العربية.